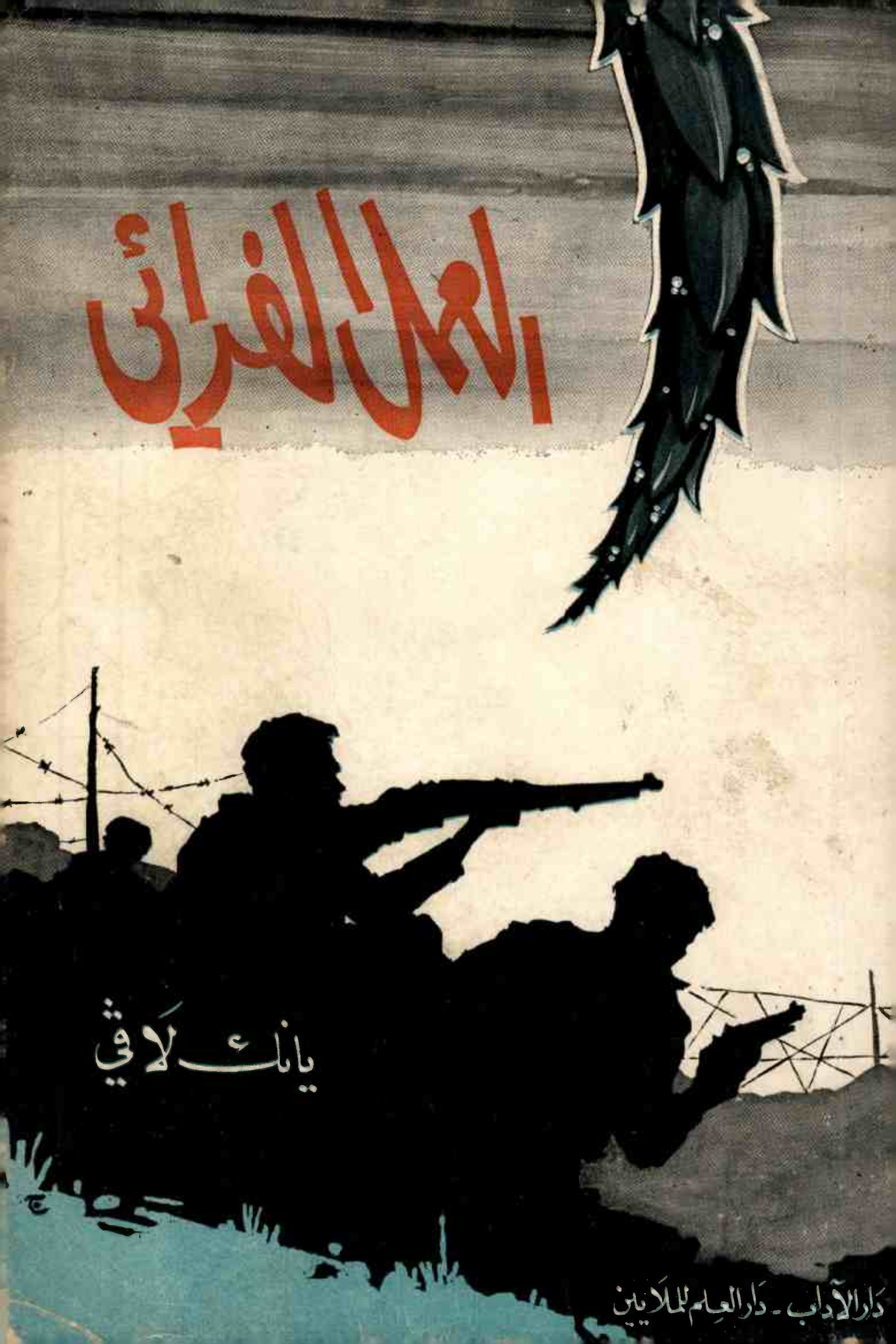

العمل الفدائي
يانك لاڤي
دار الآداب - دار العِلم للملايين

العمل الفدائي

الطبعة الاولى
نوار (مايو) ١٩٦٨

يانك لاڤي

العمل الفدائي

ترجمة سامي كعكي

منشورات

دار الآداب دار العلم للملايين



يانك لافي

تعريف بالمؤلف :

– ولد برت (يانك) لافي عام ١٨٩٨ في هاملتون من كندا ، من ابوين مهاجرين لم يلبثا أن نزحا إلى الولايات المتحدة وهو بعد في الشهر الثالث من عمره . وهناك نشأ في كليفلاند من ولاية اوهايو نشأة العامل حيث تلقى التعليم العادي الذي يتلقاه مثله من العمال الامريكيين ، والتحق ببعض المدارس المسائية ، ثم عمل طوال عام ١٩١٦ وجزءاً من ١٩١٧ بحاراً على احدى السفن التجارية الخاصة . وانفصل عن البحر بعد ذلك ، لكنه عاد إلى البحرية سنة ١٩٣٩ ومكث عاماً واحداً في نشاطه البحري الجديد . وحين تسأل لافي عن تعليمه ، فانه يجيب « إن مدرسة الحياة الشاقة هي التي دخلتها حقاً » . وهذا صحيح ، فما كان البحر يتشوقه حين لا يكون فيه غواصات ومخاطر .

ولقد خدم لافي في ١٩١٨ – ١٩١٩ في الفيلق ٣٩ من

القاذفات الملكية ، وكانت خدمتـــه الفعلية في فلسطين وشرق الأردن . ويُظهر سجل مذكراته آنذاك انه كان في « مكسيكو سنة ١٩٢٠ – ١٩٢١ ، ثم تولى الاشراف على بعض المدافع ، وقصد نيكارغوا سنة ١٩٢٦ مع ساندينو ، حيث قام ببعض الأعمال الحربية » . وهناك اشارات اخرى في السجل . ثم انه التحق بالفيلق الاممي اثناء الثورة الاسبانيـة سنة ١٩٣٧ ، وارتقى اثنـــاء ذلك إلى رتبة ضابط مفرزة رشاش في الفوج البريطاني الذي شارك في الحرب .

ولو شئنا تلخيص مجمل نشاطاته البارزة منذ أن وعى مفهوم الحرب ، لأدركنا أن يانك لافي باحترافه القتـــال انما كان يحقق رغبـــة ملحة في نفسه . لكنه أُسر في « جراما » وبقي في سجن فرانكو مدة تزيد عن الستة اشهر .

وفي سنة ١٩٤٠ التحق بكليـة تدريب الحرس الوطني في « اوسترلي بارك » ، حيث ظل يحاضر في مكتب الخدمة الحربية حول مهمات الحرس الوطني طوال ١٥ شهراً.

مقدمة

إن الألوف أو ربما مئات الألوف من أفراد الحرس الوطني يعرفون « يانك لافي » تمام المعرفة . فأولئك الذين التحقوا بكلية « اوسترلي بارك للحرس الوطني » حيث يتم تخريج مدرّبي هذا الحرس ، والآخرون الذين استمعوا إلى محاضراته في طول البلاد وعرضها – لا يحتاجون إلى أي تعريف بذلك الرجل . والواقع ان هذا الكندي ، دون ريب ، لهو أبرع من حاضر وشرّح حرب العصابات على أوسع نطاق ، وهو ينزع في شرحه إلى الصفة العملية على الدوام . لقد رافق السلاح في سن مبكرة جداً ، وعلى حد تعبيره « تورطت في المكسيك آنذاك » . وفي الحرب العالمية الأولى شارك في القتال في فلسطين وما وراء الأردن . وكان من قبل قد ساهم في حركات تمرد وثورات متتالية امتدت حتى شملت معظم الأراضي الواقعة جنوب الولايات المتحدة الامريكية .

ثم أعقب ذلك بانضمامه إلى الفيلق الأممي ضد الفاشست أيام الثورة الاسبانية عام ١٩٣٦ ، لكنه أُسر جنوب مدريد وقضى ستة أشهر في سجون فرانكو ، أُفرج عنه بعدها في عملية لتبادل الأسرى . وكان أحد أفراد كتيبتي آنذاك . وما أن أُطلق سراحه حتى حاول الرجوع إلى الميدان ، وقد كتب إليّ راجيـــاً التوسط له في الحصول على جواز سفر يتمكن به من السفر ، غير أن هذا لم يتم على كل حال . ثم نشبت الحرب العالمية الثانية .

ولقد تقدم « لافي » بطلب للتطوع في الفرقة الكندية حال اندلاع نيران الحرب ، لكن طلبه رُدّ ، لأن قدمه مسحاء وأصابعها مقوّسة حسبما جاء في التقرير الطبي . غير ان هذه الموانع السخيفة لم تكن سوى مبررات ساقتهـــا القيادة بدل المــبررات الحقيقية ، ألا وهي تصلبه العنيد وسجله الحافل كمتزعم لجماعة العاطلين عن العمل في كندا . لكنه كعادته لم يستطع الانعتاق من مغريات الحرب ، فعمل وقّاداً على مركب عتيق يتنقل بين موانىء بريطانيا. ومع انه لم يجد في عمله هذا شيئاً من المخاطر التي تنزع نفسه اليها ، فقـــد ظل يعمل بصورة موقتة . وفي احدى المرات انقلب المركب ببحارته بعد أن تركه « لافي »باسبوع أو أقل ، وجاء لينضم إليّ في « كلية اوسترلي » لتخريج مدربي الحرس الوطني على أساليب حرب العصابات .

هذا جل ما يتاح لي قوله عن الرجل ، فإلى الموضوع الذي طرقه الآن : ان حرب العصابات لهي أبرز السبل فعالية لتحقيق انتصارنا على العدو . و « يانك لافي » محارب عملي وليس محارباً نظرياً فقط ، وهو يعتقد ان هذا النوع من الحرب مسألة تطبيقية أولاً واخيراً . انه ليس مجرد خيالات أو اقتراح وهمي تنسف منطقه الظروفُ المعاصرة والضغوط الجبارة . ان بعض رجال الحرب تسيطر عليهم الاستراتيجية العسكرية الكلاسيكية : (الجماعية في الحركة ، الجماعية في التمركز ، واعطاء الأفضلية للآليات) ... ويعزز هذه الفكرة انجازات النازي وانتصاراته الباهرة بفضل الحركة والمكننة معاً . لكن هذا لن يؤثر في ما أجزم به من أهمية حرب العصابات .

ان ما سبق يبدي حرب العصابات حرباً ثانوية أو فرعاً من أصل ، وهذا افتراض مغلوط يكذبه الواقع سريعاً ان لم نستعن بالبديهة المشيرة إلى بقاء الجناحين معاً : جناح نظامي وجناح غير نظامي .

ان من يؤمن بأن الدبابة هي السلاح الفعال المسيطر في ميدان الحرب الحديثة لعلى حق ، كذلك من يؤمن بأن الطائرة ، والقاذفة على الخصوص ، هي السلاح الأول الذي يرتبط ارتباطاً عضوياً بالدبابة ، لا يجاوز الحقيقة — ويؤيده في ذلك هذه النجاحات التي مكّنت النازي من فرض

سيطرته بعد حملات بالغة القوة والتعقيد امتداداً من مدريد غرباً حتى مشارف موسكو في الشرق – لكنه يجـــاوز الحقيقة فعلاً إذا قفز من هـــذا الى التقليل من أهميـــة « حرب العصابات » واعتبارها « لا جدوى منها » . ولما كان هناك بالفعل رجال من هذا القبيل ، دعني أنظّـر حرب العصابات هذه ولو إلى حد يسير .

ان نجاح النازي في السيطرة بدباباته ، وطائراتـه ، واجتياحه اوروبا على أساس الحركة الجماعية في الحرب ، لا يعني البتة أن نظرية الجماعية هذه هي وحدها الصحيحة . نعم ان ذلك قد حدث بفضلها ، لكن هذا لا يدفع أحداً إلى التجرؤ في الزعم بأن هذا سيظل يحدث على الدوام ، ولا بأن الظفر في الحملات الحربية سيكون من نصيب هذين السلاحين كل مرة ؛ ولا بأنه لن يوجـــد سلاح يستطيع الصمود أمام هذين على الاطلاق . ولو فعل أحـــد ذلك لكان معنى زعمه القولَ بأن انجازات النـــازي قد ارتقت بنظرية الحرب والفن العسكري إلى ذروة لا يمكن قهرها . ويكون بذلك قد تجاهل حقيقة أن الحرب تتغير ، شأنها شأن كل شيء آخر . والواقع ان الفكر والعمل معاً يطوران العالم نحو توافق كلي واتحاد موزون متكافىء بين الحرب النظامية وحرب العصابات . وعندي أكثر من دليل على صلاح رأيي هذا ؛ أولها : صمود جيش الاتحاد السوفيتي صموداً بطولياً لأشهر طويلة دونما زعزعة أو كلال ، في وجه امكانيات

أوروبا الخاضعة للنازي بكاملها . وليس هو صموداً قليل الأثر على جيوش هتلر ودقة آلة الحرب الالمانية على كل حال . فما أعظم خطورته وأعمق أثره ! إنه باعتماده على كافة العناصر المقاتلة من زمر القناصة والمخربين من المزارعين والوحدات النظامية المشتتة إثر الاجتياح الصاعق — قد أثبت لهتلر نفسه ان التكتيك الذي يتبعه السوفييت لن يؤخر ساعة انتصاره فحسب ، بل قد يتطور إلى ما يقرب فيه من لحظة قهر الجيوش الغازية . وسقوط نخبة القوات الجرمانية في المستنقع الجليدي ، معناه بداية النهاية لا محالة .

وإليك دليلاً ثانياً ذا طابع استراتيجي بحت ، يتعلق بـ (رأس الحربة Spear - head) الذي هو بمثابة المبضع الذي يشق اللحم تمهيداً للوصول إلى باطن الجسم .

ان أية قوات غازية تتخذ تشكيل رأس الحربة هذا ، وتجعله رأساً صاعقاً مدرّعاً غير قابل للتحطيم . ومن الصعوبة في أكثر الحالات ملاحقته ، لسرعته الفائقة والزخم الذي ينطلق به : في الجو تدعمه أسراب مشكّلة ، وعلى الأرض مدفعية ميكانيكية ومدرعات ذات كفاءة تدميرية رهيبة ؛ ومع ذلك يبقى لهذا الرأس الفولاذي نقطة ضعف خطيرة — نجدها في ضخامة احتياجاته ، التي تفوق كل ما تستلزمه أية تشكيلات زاحفة أخرى . ونحن حين نذكر الامدادات نربط أنفسنا بعنصر ثان على التحقيق ، وهو عنصر

المواصلات . لكن أية مواصلات ؟ لن يكون للسكة الحديدية طبعـــاً أي دور تلعبه – نظراً لبطئها وطاقاتها المحدودة – لذا يتوجب على المهاجم الاستعاضة عنها بشبكة طرق مكشوفة نسبياً تؤمن تدفق قوافل التموين من العربات والصهاريج السريعة والمرنة . وفي هذه الحال تتحول النسبة العظمى من القدرة الدفاعية لأهل البلاد المغتصَبة إلى هذه الثغرة ، أي إلى طرق العدو المكشوفة وقوافله المحروسة جزئياً . لكن وحدات المقاومين العادية ومدفعيتهم المحدودة لن يمكنها الرد المؤثر في هذه الحال لسبب ظاهر – فتبقى في الميدان قوتان لا غير : السلاح الجوي وفرق العصابات التخريبية .

ان مواصلات العدو وسيارات شحنه هي نقطة الضعف فيه ، وكلتا النقطتين معرضتان للخطر من قبل طيراننـا ورجال العصابات فينا . ولهذا يمكن القول :

ان الداعين إلى زيادة انتـــاج الطائرات والدبابات في بريطانيا يحملون في رؤوسهم ان الطائرة انما تُصنع لتسقِط الطائرة ، والدبابة لمقاومة الدبابة ، وهذا خطأ صريح . اليسوا في تلك الحال كمن يستعمل كسارة البندق ليحطم بها كسارة بندق ثانية ؟! ان التفكير السليم هو استعمال كسارة البندق لكسر البندق فقط ، أي استعمال طائراتنا ومدرعاتنا وغيرها لضرب أكثر أعضاء العدو انكشافـــاً وأشدها حساسية وأقلها حماية .

إن الهجوم الصاعق يجب أن يُرد عليه بهجوم صاعق مضاد ، لكن الصعوبة تكمن دائماً في فشل أي جهاز دفاعيٍّ ما في الصمود وقتاً طويلا أمام رأس الحربة الفولاذي . وهنا يأتي دور رجال العصابات ليخربوا شبكة مواصلات العدو ويدمروا قوافل امداده ،ناسفين مخازن الذخيرة والوقود المؤقتة ، مغيرين على مراكز قياداته المتقدمة ، مهاجمين تشكيلاته المتوزعة والنائية . ان جماع عملهم هو ضغط متواصل ونخر فعّال قوامها الرجل وسلاحه سواء بسواء .

وأكاد أكون على ثقة كاملة من ان حملاتنا المقبلة ستعتمد هذا النظام بصورة أساسية لا ثانوية أبداً . ان سبيلاً صحيحاً كهذا هو وليد الأجهزة والمؤسسات الديمقراطية والاشتراكية . أما الفاشية فليس بمقدورها اطلاع بنيان فعّال من هذا القبيل في بلاد مقهورة تُحكم شعوبها بالعسف والبربرية .

لكن ما هي أهم مقومات النجاح لحرب العصابات ؟ إنها الثقة بالنفس ،والبذل ،وتطوع الملايين من القادرين للمشاركة، والتضحية ، ولو استلزم ذلك مجمل السكان والمخاطرة بأرواحهم . زد على ذلك إذكاء روح الاخوّة والتعاون والتنسيق بين فرق العصابات والوحدات النظامية . ومواصفات كهذه لن تتاح للجيش النازي ولو في ايطاليا ذاتها حليفته الوحيدة .

ها هي الصور المعبّرة لانجازات الانصار الخارقة على الجبهة الروسية تُظهر للملأ ما تعنيه حرب العصابات ، ونحن على استعداد لإتيان المزيد منها لو ركب النازي رأسه ونزل هذه الأرض . علينا ان نقلّب الأمر على كافة أوجهه ، وندرس كافة الاحتمالات وننسّق بين مختلف أشكال المقاومة وضروب القتال . ومن خلال هذا الجهد فقط يمكننا الجزم بالانتصار على العدو في اوروبا نفسها . فهناك الاحتياط البشري العملاق ، والمنطق يحتم علينا الاستفادة منه لتحقيق أهدافنا المشتركة .

منذ زمن و « يانك لافي » يشاركني التدريس في « كلية اوسترلي » وفي غيرها من كليات التدريب لتعليم أصول حرب العصابات والتخصص في العمل الفدائي . ومن الطريف هنا ان تلك الأساليب والتكتيكات لم تكن حصيلة ما جرى في جزيرة كريت وحَمْلتِها كما يتوهم أكثر الناس هذه الأيام . ان ما جرى هناك فعلاً تم حسبما بدأنا به ، ودرّسناه وفصّلناه ، تسعة أشهر قبلها أو يزيد . وقد وُضعت هذه الدراسة قبل هجوم النازي على روسيا واحتلال أخبار المقاومة ونجاح فرق الانصار أعمدةَ الصحف عندنا . لكنه تأخر نشرها بسبب انشغالي في وضع دراسة أخرى عن الحرب المكننة جعلتُها بعنوان « الصاعقة » . ولم أجد بداً من انهاء الكتاب عن الحرب الرسمية لأتفرغ لحربنا غير الرسمية

هذه . وهنا يبدو لي ان من ينتقدنا لدعوتنا الجامحة لاتباع أساليب حرب العصابات والمقاومة سيصيغ لنا العذر ثانية ، لعلمه بأننا أيضاً لن نستطيع اغفال جناح مهم وفعّال في حربنا الحديثة . فنحن دوماً داعون إلى وحدة كلا الاتجاهين ، لا في الدفاع وحده ، بل وفي الهجوم أيضاً . والحاحنا هذا نابع من مقتضيات الحال ، فمنذ أن أنشأنا تنظيم الحرس الوطني ، بتنا لا نفهم جدوى الدعوة إلى التفوق على النازي بانتاج الطائرات والدبابات لا غير . ان الفرق بين انتاجنا وامكانيات النازي فرق شاسع ، وذلك لتقدم العدو وأخذه زمام المبادرة من ناحية ، ولامكاناته المتفوقة في الخامات والتصنيع من ناحية اخرى . خذ عام ١٩٤١ مثلاً : اننا حتى رغم مساعدة الولايات المتحدة لم نستطع اللحاق بالعدو ، وكان كل ما فعلناه اننا ضيقنا الهوة التي تفصلنا عنه قدر المستطاع . ولو نظرنا الى الأرض الغنية التي احتلها وترجمنا ذلك إلى فولاذ وفحم ثم مدرعات وطائرات ، لما استطعنا الإحاطة ، حتى في النظر ، بنهايات طوابير الماكنات التدميرية التي تخرجها مصانعه .. وبالتالي لا نجد منتهى لهذا السباق الشاق ، كما لو انه من الضروري والمحتم أن يكون لنهايته فرصة مؤثرة لانهاء الحرب ذاتها .

إن الذين يعتمدون على الاكتفاء بزيادة العتاد هم جماعة

المتشائمين المغالطين ممن يَعمون عن الهـدف الظاهر والأمل الطموح لمستقبل مشرق . ففرصتنا الوحيـدة تحت ضغوط كهذه ، هي في تحويل (اللعبة) من اتجاه يسير في صالح العدو إلى اتجاه يخدمنا نحن . ان علينا ان نجعل الرجل يشلّ الدبابة والروحَ الوطنية تتغلب على المادة ، فليست طوابير الفولاذ بمقياس لكسب الحرب أو خسارتها . وعندنا قول نابليون المأثور أبلغُ شاهـد : (في الحرب تكون المعنويات إلى الماديات كنسبة ثلاثة إلى واحد) .

ان حرب العصابات هي حرب ضد الروح المعنوية للعدو كما انها ضد اسلحته المادية أيضاً ، وهي تكون ضد روحه حين تكون نقطةُ ضعفه في معنوياته . علينا ان نهاجمه من الخلف ونزرع في مؤخّراته الغام الذعر والتفكك والفوضى . وعلينـا كذلك ان نضرب مادياته حين نأمن عجزها عن الرد الفعال .

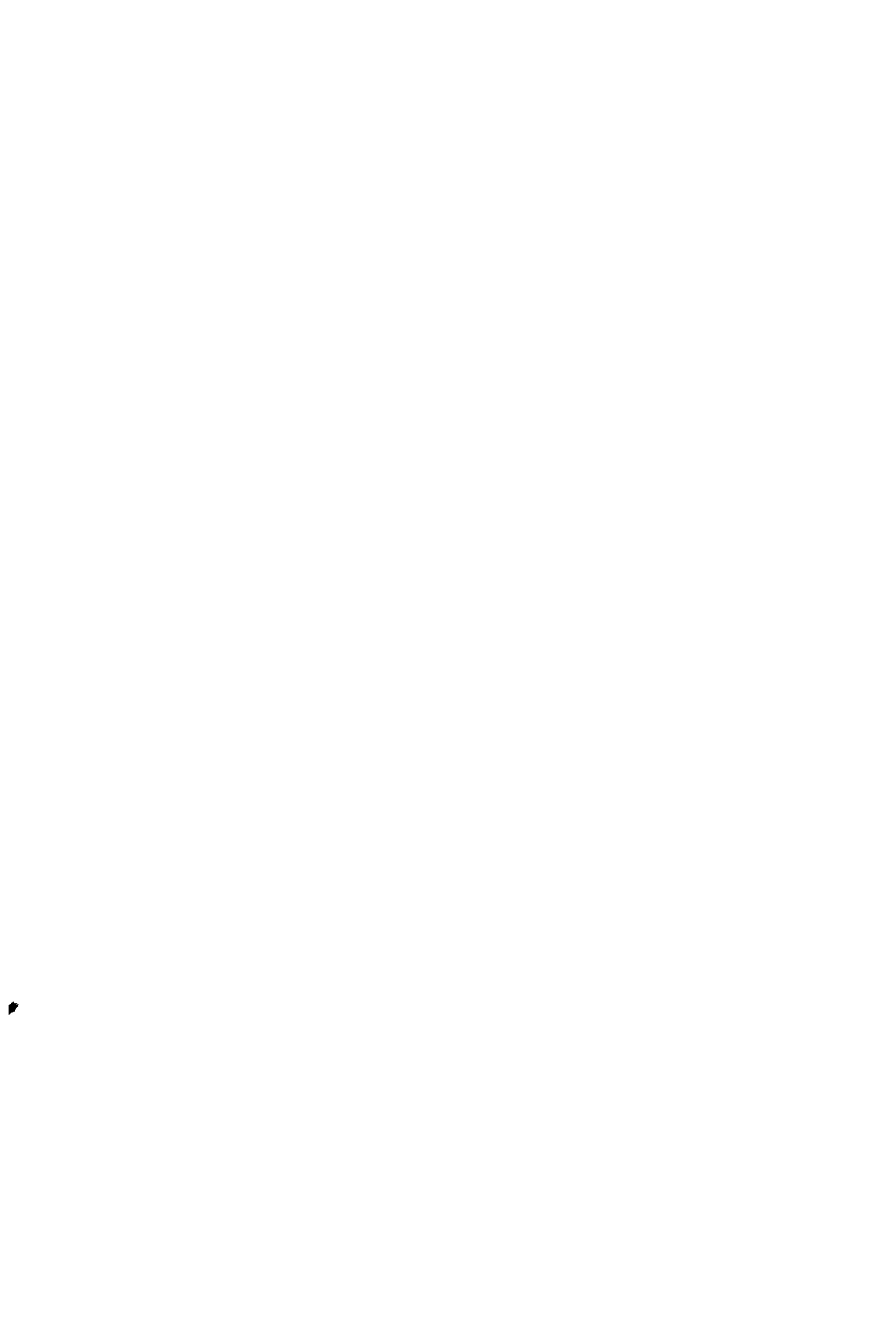
وفي فصل لاحق ، عملتُ شخصياً في صياغته ، اتيت على التشاخيص البدائية الاولى أو الجنين الذي ظل ينمو لتنظيمات المغاوير الحالية . هناك كانت كتائب رومـا التي لا تُقهر وفرسان القرون الوسطى الأباة .. ولكنه كان هناك أيضاً جحافل الشرق غير النظاميـة ، وجموع الزاحفين بفؤوسهم القاطعة .. وقد قهر هؤلاء الجيوشَ النظامية في عصرهم .

ان مهمتنا ليست شاقة وليست سهلة في الوقت ذاته ،

يكفينا ادراكٌ منصف ورؤية صافيـة نضيفها إلى الارادة الحديدية والمثل العليا حتى نضمن لوطننا النصر ، والنصر المبين القريب .

إن اهدائي هذا الكتاب ليس موجهاً إلى افراد المقاومة أو الحرس الوطني أو الجنود النظاميين البواسل ؛ كلا انه لكل الشعب المترقب المتحفز ، ليعي على اية أرض تقف قدماه — حدودها — طبيعتها — صلابتها — حتى إذا جاءنا البـاغي وحانت الساعة كان لنا في الكتاب عون في اتمام الواجب المقدس على اكمل صورة .

توم وينترينغهام



الفصل الاول

حتمية حرب العصابات والعمل الفدائي

التاريخ لا يعيد نفسه ، وانما هناك ظواهر قليلة يظنها البعض من تراث الماضي الذي طواه الزمن إلى غير رجعة ، تعود إلى مسرح الحاضر بصورة مغـايرة لصورتها السابقة ونتيجة لظروف جديدة . وحرب العصابات التي ندرسها ونمارسها ظاهرة بارزة من تلك الظواهر . وهنالك من يعتقد أن هذا النوع من الصراع ليس إلا صنفاً من ضروب القتال البدائي الذي برعت فيه القبائل البربرية المتأخرة ، كقبائل شمال الهند ، إلا أنني أقولها بصراحة : ان من يفكر على هذا النحو لهو المتحجّر المتأخر الذي ما فتىء يخطط بعقلية الحرب العالمية الأولى واستراتيجية التمركز والجبهات والمحاور .

ان الحرب الحديثة — ولا أقصد الحرب العالمية الثانية وحدها ، بل الحرب الأهليـة الاسبانية وحرب التحرير الصينية أيضاً — قد حتمت بعث حرب العصابات ودفن

استراتيجية الخطوط الثابتة والخنادق التي لا أول لها ولا آخر . وربما ضاقت الهوة بين ما نسميه حرب العصابات وغيرها من الحروب غير النظامية ، واختفى إلى حد ما ذلك الفاصل بينهما ؛ غير أن الثابت هو ضرورة أخــذ الجندي العادي وفرد الحرس الوطني بأساليب العصابات حتى يتسنى لهما مواجهة أي تحدٍّ يبرز في أي حين .

لقد وُضع هذا الكتاب أصلاً للمقاتلين الذين سيشتركون في الحرب الفعلية ، لكنني آمل أن يجد فيه الجندي والفدائي والمواطن العادي على السواء ما يساعده على مقاومة الغازي والمحتل . فبعد سنة من القاء المحاضرات وتدريس الأصول والأخذ بالتفاصيل ، تحققتُ من أنه ليس هنالك كتــاب خصّص لهذا الضرب من القتال ، وإنما هي إشارات مقتضبة من جهة واسهاب بالغ في جوانب ضيقة من أساليب حرب العصابات بشكل عام ، مبعثرة في عدة كتب . ومن بين هذه الجوانب عمليات الاستطلاع والرصد والاختفاء ونصب الكمائن والتحرك السري . . وغيرها . وتجاوباً مع الحاح المقاتلين وضعتُ هذه الدراسة الموجزة راجيــاً ان تفي بالغرض المنشود وتعين في تأدية المهمة السامية الملقاة على عاتق كل مواطن شريف .

لنبدأ أولاً بتعريف مصطلح حرب العصابات :

الكلمــة اسبانية (Guerra) ، وتعني مجازاً الحرب الضيقة أو المحدودة ، ويعرّف القاموس الذي لازمني طوال

أقامتي في اميركا اللاتينية الكلمة (Guerrilla) بأنها حرب الأتباع أو الأنصار – أي تلك التي ينهض بها حفنة من المدنيين المشايعين لنهج خاص أو المناضلين للوصول إلى هدف ما . لذا غالباً ما تطالعنا تسمية الثورة الروسية والحرب الأهلية أو الحرب اليابانية – الصينية بحروب الأنصار ، الذين يقاتلون الجنودَ النظاميين لا أشباههم من رجـــال العصابات .

وهكذا ، يمكن القول : ان حرب العصـــابات هي الوسيلة المتاحة للشعب المحتل أو المحاصر لأن يرفض الاستسلام. ويطيب لي أحياناً دعوتها « بحرب الدبابير » لتبسيط مجملها وتقريب واقعها إلى الأذهان العامة . فواجب أفرادهـــا المغاوير هو لسع ظهر العدو واغاظته وشل قواه ، وذلك عن طريق توجيه الضربة ثم التواري سريعاً . وأشدّد هنا على كلمة « سريعاً » لأن مقارنة المغاوير بالجيش النظامي تُبرز حالاً ضآلة عددهم وتدني مستوى أسلحتهم إلى جانب افتقارهم إلى القواعد الثابتة والموارد المتواصلة . وبينما يكونون معرضين للأخطار من كل جانب ، يرجَح العدو في الجانب المقابل قوياً منظماً له من المواقـــع المركزة والامدادات الكثيرة ما يثبّته بالرقعة التي احتلها أو الأرض التي يريد احتلالها .

لنفترض مثلاً ان رقعة ما من البلاد قد انفصلت عن باقي المقاطعات ، بعد أن نجح الغازي في تطويقها . ستكون

خطوته التالية حتماً ان يحاول ترسيخ أقدامه فيها وبناء قاعدة انطلاق عليها قبل ان يشرع في التوسع والتقدم إلى داخل البلاد . ان واجب القوات النظامية في تلك الحال معروف للجميع . أما مجموعات الفدائيين والحرس الوطني وكافة المسلحين ممن تقع مجالات نشاطاتهم داخل الاطار المحتل ، فعليهم الكثير من المهمات التي سنجيء على ذكر تفاصيلها في الصفحات القادمة : بدءًا من قطع طرق المواصلات، وتدمير الآليات، وتفجير مخازن الذخيرة،والإيقاع برسل البرقيات ، حتى مباغتة المدرّعات والاغارة على قواعد العدو ومطاراته وبطاريات مدفعيته .

وهنا تنبغي الاشارة إلى واقع الحرس الوطني ، فهو تنظيمياً على غير شاكلة العصابات أو القوات النظامية . إنه في مرتبة بينهما ؛ أما رسم الخطوط الفاصلة وتصنيف المحاربين تصنيفاً جاداً ، فأمر في غاية الصعوبة . وذلك لما تتسم به الحرب الحديثة من انسياح ومرونة وحركة . وللدلالة على صدق هذا الكلام نستعين بالتجربة الروسية التي تؤكد تحول الوحدات النظامية العادية في حال تخطّيها أو تشتيتها من قِبل العدو ، إلى زمر من الأنصار تمارس ، بصورة تلقائية ، ضروب تكتيكات المغاوير ومختلف صنوف المقاومة والتخريب ، منتهجة في ذلك اسلوب العمل الفدائي المنظم .

وقبل ان نستطرد في الكتاب أراني مضطراً إلى أن أشدد على نقطه حساسة وبالغة الأهمية ، ألا وهي : يتعذر

على حرب العصابات أن تستعر وتؤثر ان لم تجد كل مؤازرة مادية ومعنوية من عامة الشعب ، وتتوفر لهـا مساعدة مباشرة في السر أحياناً ، وفي العلانية أحياناً أخرى . ان الدعم المتمثل بالانكفاء والاخلاص السلبي ومجرد التعاطف عملةٌ غير ذات قيمة على الاطلاق في هذه الحال . فمن يؤمّن للمقاتلين اللباس والغذاء والموارد والملاجىء والمعلومات .. ان لم يكن الشعب المقهور الواقع تحت الاحتلال ؟ من أين يأتي المتطوعون الجــــدد ويتكاثف الرد وتتصعد حرارة المقاومة .. ان لم يكن من الشعب المأزوم الذي تتأجّج في قلبه لُهُب الحقد والثأر من مدنّسي شرفه ؟

لقد قلتُ قبل هنيهة ان اقامة حدود متميزة بين أفراد العصابات وغيرهم من التشكيلات المحاربة أمر بالغ الصعوبة ان لم يكن مستحيلا . فالجميع ، من نظاميين وغير نظاميين ورجال عصابات وفدائيين ، ينطلقون من قاعدة مشتركة هي التطوّع ، بمعنى التسجيل في قيود المنظمة المعنية . والمحاولة في تصنيفهم غير ذات جدوى ، نظراً للتنويع في الأساليب المتبعة من ناحية ، واضطراب خلفية الحرب الحديثة من ناحية مقابلة . لهذا فان الأمانة تقتضينا ان نتقدم خطوة إلى الامام في تعريف هذه الحرب الحديثة واعتبارها حرب عصاباتٍ مغلّفة بقشرة نظامية ، أو قُل أنها قلبٌ نظامي تجري فيه دماء حرب العصابات . والواقع ان نظرة سريعة إلى أساليب الألمان المتبعة في هذه الحرب الثانية لَتؤكد صدق

حدسنا واعتقادنا . فالستراتيجية وكذلك التكتيك يقومان معاً على مبدأ الالتفاف السريع حول أجنحة الخصم وتفتيت مؤخراته ، وذلك تجنباً للوصول إلى ظروف المعارك الكلاسيكية الثابتة والفاصلة .

هذا هو دور وحدات (البانزر) ،أو المدرعات الثقيلة . ألا ترى أنها تظل تسعى وكأنها أنامل من الفولاذ ، بحثاً عن ثغرات واهية في الخطوط الدفاعية للعدو ؟ وفي حال نجاحها في اكتشاف تلك الثغرة تتكاثر كالجراد ضاغطة عليها بهجوم مباغت حتى تخترقها سريعاً . وحين يتأتى لها ذلك تمعن في الولوج المستقيم موغلة في أرض العدو ، ومتفادية الاشتباك المباشر مع جيوب المقاومة التي تخطّتها أثناء زحفها ، قدر المستطاع .. ان هدفها الوحيد هو الوصول إلى مؤخرة الخصم في أسرع وقت وأعمق مدى ممكن .

ان المباغتة عنصر رئيسي في تكتيك الألمان ، فكل وحدة مدرّعة تثابر على الظهور بصورة غير متوقعة في مؤخرة الخطوط العدوة لإشاعة الفوضى والهستيريا — ومن ثم تستهدف شل الجسد بتحطيم عموده الفقري . وفي إثر الدبابة تزحف فرق المشاة العادية لتمشيط جيوب المقاومة التي تحاشتها الآليات ، مبتدئة كالعادة بالجيوب الضيقة فالمتوسطة فالقوية ، مع تفضيل العمل دائماً من الداخل إلى الخارج ، أي من الخلف وإلى الأمام .

وإلى جانب سلاح المدرعات والمشاة تنشط فرق المظلّيين والقوى الجوية وعملاء الطابور الخامس ؛ وكل ذلك يهدف لتسعير الحرب النفسية علّها تنجح في ارباك الخصم وضرب معنوياته . ويكون التنسيق بين تلك الأسلحة كافة وسلاح الطيران تنسيقاً كاملاً ، وذلك لاعتماد هذه الأسلحة على المعلومات التي يجمعها والانجازات التي يحققها سلاح جبار كالطيران .

والخلاصة انه لم يعد للخطوط أو الجبهات (تلك المصطلحات البالية) أي وجود فعلي في حربنا الحديثة . وما انتصارات النازي الصاعقة في فرنسا وبلجيكا وهولاندا سوى ثمار الستراتيجية المتجدّدة التي ألغت تماماً مفهوم التمركز واقامة الخطوط الحصينة . هذا في حين تمسّك جنرالات اوروبا الآخرون بالنظريات التقليدية في فن القتال وأصرّوا على تخطيط اللعبة حسب مقاييس الحرب الأولى وما قبلها ، فلم يَعُد عليهم ذلك بسوى الهزيمة الشنيعة والخراب لبلادهم .

ان الخطة النازية ككلٍ ، يمكن تشبيهها بنثر نقاط الحبر على ورق النشاف ؛ تتبقّع الورقة في عدة أماكن ثم يأخذ الحبر بالتمدد في كل الاتجاهات حتى تتصل نقاطه بعضها ببعض . وحينئذ تكون قد غطّت صفحة النشاف تماماً . إن الخطوط السميكة على خرائط عجائز الجنرالات ، خطوط الجبهات والمحاور ، لم تعد تؤخذ بعين الاعتبار في

التحضير لاستراتيجية معينة ؛ فجميع الأطراف في حربنا المعاصرة لا تعرف التراشق (من بعيد لبعيد) ، بل انها تتداخل فيما بينها وتشتبك على البقعة الواحدة نفسها : المقدمة عند مؤخرة الخصم والجناح يعصر الجناح والقتال دائر في كل مكان — حتى ليراه قليل الخبرة مجرد جلبةٍ وفوضى وهدراً لا طائل تحته . لكن هذا التداخل عند القائد المعاصر هو الوجه الطبيعي لتطوّر فن الحرب . اشتباكات صغيرة لكنها مؤثرة ، وحركة مستمرة هادفة ، تلك هي سمات الحرب التي تلائم واقع المغاوير وتتوافق مع أساليب العصابات ، لا أن يُحكم عليهم بالبقاء أشهراً في خنادق موحلة أشبه بالقبور منها بالحصون ... تتآكلهم الرطوبة والسأم وغباوة الجنرالات .

وهناك نقطة تشابه ثانية بين الحرب النظامية الحديثة وحرب العصابات . فمنذ مئتي سنة ومجالات الحروب ونطاقاتها تنمو وتتوسع في الوقت الذي تتجزأ فيه الجيوش وتتقسّم إلى فرق وكتائب وسرايا وفصائل وحضائر ، حتى أضحت اصغر وحدة فيها لا تتجاوز الأفراد الثلاثة أحياناً . وهذه إشارة إلى أن الحرب الفعلية ما هي إلا محصّلة لمجموع المعارك التي تخوضها تلك القوى البالغة في الصغر . ومـا حرب العصابات بدورها الا حرب الوحدات الدقيقة الصغر بحيث تستطيع العمل المؤثر دون التعرض لضربة قاتلة . وحكمةُ التجزئة هذه معنوية في اساسها : أليست تتيح

للفعاليّة والمبادرة البشرية مجالاً أرحب للاختبار والعمل ؟ هذا اضافة إلى سهولة القيادة وتنوّع مجالات النشاط فيها .

في الحروب القديمة لم تعرف المقاومة سوى صورة العصابات التي تنشقّ عنها الأرض لتنشر في تشكيلات العدو قدراً من الفزع الاضطراب . وهذا هو الدور الذي تقوم به تشكيلات عصابات اليوم ، لكن .. تدعمها انجازات العلم الحديث من طيران وفولاذ متحرك وكيمياء . وبكلمة أخرى : ان طبيعة الحرب الصاعقة (أي الحرب النظامية الكثيفة) ما هي الا صورة تم تطويرها ومكننتها من خامات حرب العصابات البدائية .

ولا حاجة إلى القول بان عمل المغاوير والفدائيين يزداد تجليّاً كلما استأسد النازي وأصبح عسفه شديداً . والنازية صنو الفاشية مهمتها تحطيم أبرز صفات المغوار وخصائله الحميدة . والرجل الحر بطبعه يكره الظلم . ويكفي ان تكون الحرية هي المرام وفي الأيدي السلاح حتى يتشكل أمامنا النموذج السامي لرجل العصابات . وهكذا فان المجال أمام نمو خميرة المقاومة لهو مجال أرحب حين تكون عجينة الشعب المناهض من عناصرها الأنفة والحرية . لذا لن نستغرب إذا عجز العدو الغازي ، رغم قدرته المكننة الهائلة عن تشكيل تنظيمات فعّالة كرجال فدائيينا الشجعان . ان هؤلاء بمثابة الرد المباشر على التهديد بالغزو . وما من ركن أو زاوية في هذه البلاد

إلا وتقوم على حراستها وحدة أو كتيبة .

صحيح أننا نفتقر إلى مؤخرة ، لأن الدفـــاع يشمل الأرض كلها – بيد أن الوعي والتأهب ويقظة المواطنين جميعاً تفوّت على النازي امكانية الظهور على حين غرة وأخذنا كعادته بالمباغتة .

ان الفدائي المؤهّل تأهيلا عالياً ، المدرب تحت أصعب الظروف لهو أقدر من يمكنه خوض معركة واعية وشجاعة في آن معاً . والهدف من هذا الكتاب هو الدراسة ومن ثم التطبيق ، لأن المواجهة لن تكون سهلة أبداً فيما إذا هبط علينا العدو من السماء وخرج لنا من البحر بكل ما في جعبته من مفاجآت مميتة . لكنني واثق من « حرسنا الوطني » وفدائيينا الذين سيثبتون وجودهم ويضحّون بشجاعة ، ولو أدى الأمر الى تطويقهم ومحاصرتهم اسابيع طوالاً .

وقد يسأل سائل : ألا يماشينا العدو حقاً حين نبدأ بتحرير أوروبا ويرد علينا بالسلاح نفسه الذي حشدناه لمقارعته ؟ ألا يعمـــد إلى تشكيل كتائب شبيهة بفصائل حرسنا الوطني وزُمر كعصاباتنا هذه ؟ الجواب : ممن وأين ؟ في فرنسا مثـــلاً ، أو تشيكوسلوفاكيا أو النروج أو أي بلد محتل مغلوب على أمره ؟ أمن الشعب الذي يعمل هو لحتفه ويحفر له باصابعه العارية قبوراً في الصخور ؟ أبداً ولو وصل التفكير به الى المانيا ذاتها – فمن المشكوك فيه ان الالمان قادرون على تنمية نظام فعال ، متحرك وشجاع ،

كحرسنا الوطني .

اسمعك تقول : ان عندهم نخبة من المقاتلين : الحرس الأسود مثلاً ، أو فرق العاصفة . هنا أيضاً اقول : لا ، فالمنطق الواقعي في الصدام المحتمل يحتم تكبيل تلك الظواهر الارهابية بواجبات شاقة تجاه المتمردين والمنشقّين المحليين . ففي المانيا ذاتها تكتلات لا يستهان بعددها وقوتها تعادي النازية وتعمل على ازالة غيومها من سماء تلك البلاد . واظنهم على يقين من أن نصرنا معناه انتصارهم ، لأن اعادة الديمقراطية اليهم انما هو كنضالنا من أجل الحرية تماماً . ولا تجرؤ الفاشية اصلاً على تسليح الشعب بأجمعه .. لأنها لا تضمن ولاءه ولا ترتاح إلى تأييده المغلف بالحذر .

ان حاجتنا إلى ثوار حقيقيين يقودون حرب العصابات داخل مناطق العدو أمر ليس على قدر كبير من الأهمية فحسب بل هو أمر حاسم وفاصل . لذا علينا ان نطوّع شيئاً من صرامة التدريب النظامي ونعدّل تكتيكه حتى يتسنى لنا التوفيق بين الفئتين المقاتلتين لما فيه خيرهما معاً وخير بلادنا كذلك .

***

ويلاحظ القارىء انني في سياق الحديث عن المعلومات والأرض والسكان وغيرها من عوامل المقاومة ، آتي دوماً على ذكر الحرس الوطني ، وارجو الا يضيق ذرعاً بذلك .

فهذا التنظيم بحق وحقيق لهو نواة الأمن والصمود الجوهرية . ومنه تنطلق باقي مفارز المقاتلين ورجال التخريب من افراد العصابات ، كما أنه المرشح الكفؤ لتسلم مقادير القيادة . والفدائيين

هذا جانب . أما المطلب الحساس فهو حاجة كل فرد للاستزادة من التعليم والتوجيه السليم والتطبع بالمبـادرة الشخصية وصفـاء التفكير تحت أشد الظروف خطورة وصعوبة . ومحتويات هذا الكتاب سهلة الحفظ والاستذكار ، لكن السطور وحدها لا تفجّر ثورة ولا تشكل تكتيلاً قادراً على الحركة بالكفاءة المرجوة والضرورية . ان عندنا الخامات الغنية في كل بيت ، ويكفي صقلها كي نجد بين أيدينـا نخبـة من المحاربين الأشداء : مغاوير وقناصة ومترجلين وكشافة وحرساً وخبراء أسلحة ومتفجرات .

ولقد اعتمدت الفصول القادمة التي أبحث فيها عمليات القتال الفعلية ، على المبادىء المعروفة عند العصابات باسم (الحالة القصوى) ، حيث يعمل المقاتلون من بؤر معزولة عسكرياً داخل مناطق العدو . كما افترضت على الدوام معاناة اقصى درجات التـأزم والخطورة .. كل ذلك في سبيل الحرص على الشمول وبغيـة تقرير العلاج والحلول الموفقة والمضمونة لباقي الحالات . ومع ذلك تجدني أُسرع إلى التذكير ، بأنه ما من شيء يمكن اغفاله أو الاستغناء عنه . ان بنية العصابات بنية قوية لكنها مرنة للغاية ، فيها تتبدل التكتيكات حسبما يقتضيه الظرف الطارىء والتغييرات

المتلاحقة . وحين اسوق هذه العينات المختلفة والتجارب لا ارجو اعتبارها خطوطاً أزلية أرسمها عـــلى الخرائط بارتجال وقصر نظر ، بل افترض في مطبّقها القدرة على التصرف حسبما تقتضيه المبادرة ويحتمه العقل من استيعاب وبعد نظر .

الفصل الثاني[1]

نظرة تاريخية

غزا العدو بلادنا واحتلها . وراحت قواته المدرّعة ، والمتحركة على نحو لا قِبَل لقواتنا المنهزمة بمقاومته — تحطم مقاومة تلك القوات من أقصى البلاد إلى ادناها . لكن ثائراً قام في ادغال ومستنقعات « انجليا » الشرقية وشرع يكتل حوله الثوار ، لا ليكوّن بهم جيشاً عادياً يدحر به الغزاة ، بل لينظمهم في عصابات تجعل همّها الوحيد مضايقة العدو ، وجعْل الحيـاة بالنسبة اليه مستحيلة ما استمر في احتلال هذه الأرض .

ليس هـــذا وصفاً مؤثراً لظرف يمكن ان يحدث عما قريب ، بل لقد حصل مثله فعلا منذ ٩٠٠ سنة خلت . كانت الجيوش المدججة يومذاك هي جيوش وليم الفاتح ، وكانت القوات الانجليزية يومها قـــد عجزت عن الصمود ومقابلته في معركة فاصلة ومكشوفة . ما هو السبب ؟

انه اعتماد النورمانديين إلى درجـــة كبيرة على طلائعهم « الآلية » المتمثلة بفرق الخيالة والفرسان لابسي الدروع ، في حين لم يتوفر للانجليز هذا المستوى من التسلح في الدفاع أو الهجوم . أمـــا الثائر الذي انتفض لاذلال بريطانيا داخل الغابات فكان « هيروارد الصاحي » الذي اختلف المؤرخون في تحديد فترة صموده ، فاعتبرها بعضهم عامـــاً واحداً ورأى البعض الآخر انها عامان .

وكما يفكر الشعب الآن رابطاً في حسه الصادق بين المقاومة والمعاقل الطبيعية الحصينة – من بحيرات وأدغال ومستنقعات وجبال – تطلع ثوار هيروارد قبل تسعة قرون ، وراحوا يتحصنون في أماكن أقامت فيها الطبيعة اسواراً تصد عنها مفارز الفرسان ، وبلغت فيها وعورة الأرض حداً جعلت حركة المترجل فيها شبه مستحيلة . والحق أن ايما بقعـة لم تستعص على قواد وليم الفاتح كالبقعة التي لجأ اليهـا هيروارد . لقد ارتدّت الحملات التي وُجهت اليها المرة تلو المرة . وأخيراً جمع الفرسان كل طاقاتهم عند المعقـل . ويقول مؤرخ تلك الحقبـة جورج ريتشارد غرين : « لم تواجه وليم الفاتح زمرة عنيدة كزمرة هيروارد الصاحي ، فعلى امتداد ميلين ضغط النورمانديون بكل قواهم وثقلهم حتى كسروا قوس المقاومة أخيراً . وباستسلام الثوار دفن الانجليز موقتاً آخر أمل لهم في الحرية » .

وهذا مما يدفعنا إلى اعتراف صريح نعلنه دونمـا أي

حاجة لليأس : ليست حرب العصابات دائماً مضمونة النجاح . لكن ما الذي يُضمن له الفوز ؟ وأية منظمة مقاتلة معصومة عن الفشل أصلاً ؟ في هذا الفصل عن تاريخ حرب العصابات ينبغي تقييم حملة هيروارد تقييماً منصفاً . . فلو آزرته زمر أخرى وفتحت إلى جانبه أكثر من جبهة — كلها تعمل على تشتيت بأس العدو وازعاجه بكل سبيل — لما اتيح لفرسانه المدرعين ان يخنقوا ذلك الثائر المتفرّد ، أو يستفردوه — على ضآلة امكاناته . ولو نشطت عُصبات قطاع الطرق ومخربو المخيّمات وقناصة الريف يومذاك ... لضاع وليم بعدّته وعديده وسط المعمعة ، ولفقد المبادرة السريعة لاستئصال قلب المقاومة من ادغال « انجليا » .

هذا ولم يكن هيروارد الصاحي أول من قاد العصابات في التاريخ ، فلقد سبقه قادة الدانيين ، وزعماء الفندال ، ورؤساء القوط ، وبرابرة الهون ، وكل من تلوّث اسمه برائحة الدم ، والفظائع الاسطورية . وقد استمر ذلك إلى ان انكسرت شوكة روما أخيراً ، وتم ابتلاع الامبراطورية المنهارة ، لا كلقمة سائغة ، بل لقيمات صغيرة قطعتها خناجر العصابات المتألبة .

لكن .. ما الداعي لأن نذهب بعيداً في سوق الأمثلة التي نستقيها من ثورات ناجحة نستند إليها في التدليل على فعالية حرب العصابات ؟ لا حاجه لذلك . ان عندنا أهالي ويلز واسكتلندا وايرلندا الذين أعطونا أكثر من أمثولة

معبرة . ألم يُبق أهالي ويلز مهاجميهم الانجليز منهمكين في بناء الحصون وتهيئة الحملات المتتابعة ما يزيد عن المئة عام حتى انقطعت أنفاسهم يأساً وارهاقا ؟ وحين عجزوا عن زيادة فعالية أسلحتهم المحلية إلى مستوى أسلحة الانجليز ، ألم يتحولوا إلى الاستنباط والاختراع ؟ لقد شهد تاريخهم أعظم حرب جرت باستخدام القوس والنشاب على الاطلاق . وان قصص الرماة الويلزيين ذوي الاقواس العملاقة المبتكرة لهي أشبه ما تكون بالأساطير ، ومن هـذه ان فارساً انجليزياً كان عائداً إلى وطنه بعد نجاحه في جمع بعض الفلاحين والقائهم في بركة موحلة ، إذ برز له قناص من خلف الأشجار ورماه بسهم اخترق درعه الزرد ونفذ من سرواله المشبك إلى فخذه ، ثم قتب سرجه المقوى بالخشب ، وانغرز أخيراً في لحم الحصان ذاته . أفليس سهم نافذ قتّال كهذا شبيهاً بالقذيفة الحديثة المضادة للدروع ؟ ألا يوحي كلاهما بالموت : للفارس المدرع بالزرد أو قائد الدبابة المحصن بالصلب ؟

وإلى جانب تفوقهم في الرماية ، برع الويلزيون بما يسميه خبراء هذه الأيام (الهجوم القصير) ، وهو تكتيك حديث يعتمده الصينيون أيضاً بصورة شاملة . وقد أشار إليه مؤرخ عاصر تلك الحرب القديمة اسمه كبرينيس فقال : « انها مقامرة بكل معنى الكلمة ، فإما ان تظفر بكل شيء في خمس دقائق أو تخسر كل شيء في مثلها . والمهم

ان تختار الساحة التي يعجز الفارس المدرع عن الوصول إليها » .

وبعد أهالي ويلز يأتي الاسكتلنديون ، فقد احتل الانجليز بلادهم من أقصاها إلى أقصاها ، وطفقوا هم يقاومون . ان مليكهم المهزوم روبرت لم يستسلم .. بل قام يهيء سلسلة من حملات الرد والمقـــاومة والاغارة التي اتصفت جميعها بالعنف والشجاعة والتوفيق ، حتى نجح أخـــيراً في دحر ملك الانجليز ادوارد واجلائه وقواته عن ايقوسيا . (ولو تهيأ لمعركة فاصلة وأعـدّ لها كل سلاح لما أمكن تحقيق النصر على الوجه الذي جاء أخيراً) . ليس هذا الكلام من عندياتي على الاطلاق ، فبامكانك ان تجده في صفحات مؤلف أرخ لحروب اسكتلندا ، وجاء كتابه مصدراً صحيحاً ومرجعاً موثوقاً . والطريف ان شعر تلك الحقبة والأناشيد الحماسية التي ظهرت أثناءها كانت مثالاً على المستوى الذي عالج فيـــه المقاومون قضيتهم . فمن مقاطع الأبيات التي اشتملت على نصائح تكتيكية بحتة ، ما بعث به روبرت إلى رجاله : « حاربوا في الأدغـــال والمستنقعات ، ولا تتحصنوا وراء أسوار اصطناعية .اجعلوا حصونكم الطبيعية هي الأشجار ، واقيموا معسكراتكم في بطون الغابات ، ولتكن مخازنكم في منـــاطق يصعب الوصول اليها . استغلوا الجبل والوادي واحرقوا ، ان لزم الأمر ، كل شيء – بما في ذلك المزارع والبيوت » . وهو إذ ينصحهم بالغارات الليلية ، يلفت انظارهم إلى ضرورة التماس الهدوء والصمت

أحياناً ، وإلى اثارة الجلبة والضجة واسترعاء نظر العدو أحياناً أخرى .

ثم تعددت فيما بعد المناسبات التي أدت إلى ظهور أشكال جديدة لحروب العصابات ، منها تنازُع الانجليز فيما بينهم واشعال فتنة شارل العاشر والبرلمان . وتجدر الاشارة هنا إلى ان قوات كل من الفريقين قد اتبعت بعض اساليب العصابات ، إذ كان الشعب محصناً في الدور والمساكن والمدن بينما يحيط به العسكر من كل الجهات . وهكذا أسرعت سلسلة الحملات الصغيرة التي ُشنَّت يومذاك في الوصول إلى نتيجة النزاع . وذلك نظراً لفقدان جيوب المقاومة الملكية داخل النطاق العسكري لقوات البرلمان ، ولوحشية كروموبل حين ارسل مدفعيته تدك ابراج البرلمان فوق رؤوس الملكيين .

وكما اسلفتُ ، قد يلعب الاشتباك النهائي دوراً في تحديد الرابح والخاسر أخيراً ، الا ان الاشتباكات المتفرقة والموزعة على مساحة شاسعة يمكن ان تزيد أو ُتنقص من مجموع القوى الحاسمة عند الطرفين ، قبل ان يأتي ميعاد الالتحام الحاسم .

ويصدق ما قلناه عن ثوار ويلز واسكتلندا على مقاومة الهنود الحمر في شمال اميركا . فقد حارب الهنود الغزاةَ ذوي السحنة الشاحبة بتكتيك العصابات الحقيقي . وبالرغم من كونهم بدائيين فقد ساهموا حقاً في رسم الملامح الحديثة

لحروب المقاومة المعاصرة . كيف لا وقد اجبروا الانجليز في حملتهم على العالم الجديد – على هجر قواعد كثيرة كان مسلّماً بهـا ، والجأوهم إلى تبني أساليب حديثة إذا شاؤوا أن يتاح لهم احراز بعض التقدم ضد أهالي البلد الاصليين.

وأبرز مثال على ذلك ما حل بالجنرال بروك وحملته .. كان جيشه عبارة عن دمى تحركها خيوط كخيوط مسرح العرايس ، فلم يفلحوا في اكثر من الاستعراضات الطنانة والمناسبات التذكارية . حتى إذا حانت ساعة الامتحان ما أسرع ان وقعت تلك الجيوش فريسة سهلة بين أشداق الهنود . يومذاك أُبيد بروك وجيشه عن بكرة ابيه باستثناء بضعة عشر نفراً كان من بينهم جندي قوي الشكيمة يـدعى جورج واشنطن ، أدرك كيف ينبغي أن يتصرف والمتوحشون حوله .

وعلى أمل أن يقلل الانجليز من وطأة اساليب العصابات وأثرها النافذ ، شكّلت القيادة الانجليزية أولى الفصائل الخفيفة التي عُرفت باسم (فصائل القنـاصة الاميركية الملكية) وأُلبس جنودهـا اردية خضراء بدل الحمراء والسوداء الزاهية الملفتة للنظر ، كما جُعلت لها أزرار قماشية قاتمة عوضاً عن الأقراص النحاسية اللماعة .

وكما كان متوقعـاً ، الغى مجلس جورج وشنطن تلك الفرق الملكية بعد أن طرد الانجليزَ خارج اراضيه ، غـير ان ذلك المجلس مـا عتم أن رأى أنه لا مناص من اعادة تشكيل فرق مماثلة ، فتشكلت كتائب

القناصة وكتائب المناوشة ، التي ورثت فكرة اللباس العملي وضرورة استعمال التمويـــه العسكري ، عن أول جيش حديث في الأزمنة المتأخرة .

ولنعد الآن ثانية إلى الامريكيين . فبعـد ان اقتبس هؤلاء عن الهنود الحمر وحشيتهم في القتال وبراعتهـم في اصابة الهدف ، سواء كان هو السنجاب أو الدب ، خاضوها حرب عصابات حقيقية في بداية النضال من أجل الاستقلال . فقد كتب عقيد انجليزي من لكسنغتون يصوّر الحال : « ما اسرع ما تسلّح الكل بعد صدور اشارة التعبئة ، فما تركوا قائماً إلا وتحصنوا وراءه . ثم انصب علينا سيل من نيرانهم : على اجنحتنا وطلائعنا ، حتى لم نقوَ على مواجهة أحد دون أن يحول بيننا وبينه جدار أو صخر أو شجرة ، فما أن يقذف الثائر بذخيرته حتى يحمل سلاحــه ويترك متراسه إلى متراس آخر جديد » .

ولربما اعترض مُحارب هذه الأيام – الانجليزي والألماني على السواء ، بأن يقول : ان كتائب المناوشة والقناصة هذه لم تستطع احراز النصر حتى صهر واشنطن قواه في جيش متكامل ذي تشكيلات متماسكة ساعده في تنظيمهـــا « لافاييت » الذي حمل له الدعم من فرنسا . وهذا صحيح . وفي الاعتراض بعض المنطق . ذلك أن حرب العصابات وحدها قد لا تحسم النتيجة . بيد انهـا بسياسة الصمود وبفضل تدعيمها الفرقَ النظامية الحليفة واســداء خدمات

استراتيجية لها ، انما تضمن لامكانية النصر نسبة لا يستهان بها حتى تحين أخيراً لحظة الحسم في المواجهة .

وخير مثل على ذلك ما جرى مع نابليون في الحرب شبه القارية . فلقد بسط سلطانه على معظم اوروبا كما فعل النازى أيضاً ، لكنه لم ينجح البتة في اخضاع الاسبان حين ثاروا على قواده . ولو طالعنا رواية فوستر الموسومة بـ (المدفع) ، وروايته الأخرى (الموت للفرنسي) ، لأدركنا سوء الحال التي تردّت اليها جيوش الامبراطور الشاب وقد مزقتها غارات الثوار وبعثرتها اشلاء عاجزة ، بعد أن حالت بينها وبين وصول الامدادات .

وهناك مثال آخر على حرب العصابات هو الدور الذي لعبته مفارز القناصة والمناوشة في جيش ولنغتون . كانت هذه المفارز مدرّبة حسب الطريقة الأميركية ، وقد عملت كقوات ضاربة خفيفة حين بدا لولنجتون انه لا أمل في احراز أي تقدم له ما لم يعمد إلى اجراء تنسيق كامل بين نشاط تلك المفارز ونشاط الفرق النظامية في جيشه .

وبعد أعوام طوال لم ترتق عمليات حرب العصابات عن مستوى الغارات العادية ، وهكذا فشل ولنغتون ، رغم عزله فرقاً كاملة من جيش نابليون ، في احراز أي نتيجة حاسمة . ولقد كان عليه ان يتراجع ، ففعل ذلك مستفيداً من طوبوغرافية الأرض ، وفي تنظيم يُشهد له ، تاركاً وراءه بلاد البرتغال أرضاً خاربة . ثم توقف عند خطوط

(تورفدراس) فتحصن عندها ، منتظراً أن تتحول كفته إلى الرجحان . ولم ينقض إلا وقت قصير حتى فعل الجوع فعله في الجيش الافرنسي : نخراً وهزالاً . وآنذاك تتبعه المخرّبون الانجليز يفسدون ما تبقى له من مؤن حتى لم يعد قادراً على الوقوف ، فتهاوى دفعة واحدة وتلقفه ولنجتون ليسدد إليه الضربة القاضية .

ومثل هذا ما عاناه نابليون في الجبهة الشرقية . فحين عجز الروس عن ايقاف زحفه السريع ، تراجعوا جميعاً نحو الشرق ، مخلّفين وراءهم أرضاً عامرة تأكلها النيران –بما في ذلك عاصمتهم موسكو ، مدينتهم المقدسة . وبذلك عاد الامبراطور مخذولاً ، وقد انطفأت جذوة الحماس بين عساكره وتدنّت معنوياتهم لتجمُّد أطرافهم . ومع ان الامبراطور خاض فيما بعد معارك بارزة شهدت له بالعبقرية العسكرية ، لكنه كان مقتنعاً تماماً من ان حملة روسيا الشتوية لم تكن وحدها هي نقطة التحول في تاريخه ، بل شاركتها في ذلك الجراحُ التي خرج بها من اسبانيا . ألم تهدر من دمه الشيء الكثير حتى تركت جسده النازف شبه مشلول لا أمل له بالشفاء ؟!

* * *

سأسوق المزيد من الأمثلة الناجمة عن تجارب العصابات في مطلع هذا القرن . أما الآن فسآتي على أساليب شبيهة إلى حد ما بأساليب العصابات ، لكنها في ميدان البحرية . فالمعروف عن البحارة الانكليز والامريكيين انهم نشطوا في

ذلك في حدود امكاناتهم . وكانت تدعمهم أعداد كبيرة من رجال الزوارق والمراكب ، بل وصيادي السمك العاديين . ألسنا نذكر حتى الآن أسماء شهيرة مثل دريك الذي أشعل لحية ملك الأسبان ، وجون بول جونز ، ذلك الامريكي الذي لوى ذيل الأسد البريطاني في المياه البريطانية ؟ أوليست الغواصة الحديثة سلاحاً من أسلحة العصابات في المحيط المائي ؟ وكذلك كافة البواخر المدنية التي تخفي المدافع القابلة للرد والاغراق ، متسلحة ً ببراءة ميثاق البحرية التجارية وضمان سلامتها ؟!

انني ما زلت اذكر رجال البحر الأبطال الذين عملوا مع « بوتاتو جونز » وامثاله من القباطنة الأفـــذاذ الذين نذروا حياتهم وراحتهم لايصال الدعـم والسلاح لجمهوريي اسبانيا . ولا زلت أقدّر تجوالهم الدؤوب في مياه البحار الضحلة ليقدموا يد المساعدة لكافة الحاميات البريطانية التي عزلها العدو ... كما أقيّم الدور الذي لعبوه في التخفيف من هول المصيبة التي حلت بنا في دنكرك .

ان مناقبية شعبنا ليست موضع شك ، وانضمامه إلى التشكيلات المحاربة رهن بالاجراءات الرسمية فحسب . ومن هذه التشكيلات فرق الضفادع البشرية أو مـــا يعرف بالكوماندوس (الفدائيين) ، اولئك الذين هم انصاف جنود وانصاف بحارة لكنهم فدائيون بالكامل . لقد خرج

هؤلاء أول مرة إلى الوجود بعد انهزام الألمـان في حرب البوير وتشتتهم زمراً صغيرة لم تشأ الاستسلام .

لقد أعطانا البوير أمثولة ، ومن حسن حظنا اننا لم ننس تلك الأمثولة المفيدة حتى الآن .

الفصل الثالث

الثورة العربية وحروب العصابات

في القرن العشرين

لا شك في ان ألمعَ اسم في تاريخ حروب العصابات ومن اضفى عـــلى مفهومها ابعاداً ومقاييس جديدة هو اسم ت ، ي ، لورنس المعروف بلورنس العرب . وقد يفوقه أحد من المغمورين ممن يقاتلون هذه الأيام في البلقان أو الصين ، لكن لورنس يظل أقرب منالاً للاستفادة منه والغَرْف من بحره الذي لا يحدّه حتى كتابه (أعمدة الحكمة السبعة) ، الذي يصف دوره في الثورة العربية .

ونحن اذ نقترب من تلك الخيمة المحوكة من الشعر حيث يتعافى لورنس مـــن حمى اصابته ، نجد الرجل ساهماً يفكر فيما يرغب العرب أن يفعلوه . ماذا ؟ استعادة مئة واربعين الفاً من الأميال المربعة من يـــد الاتراك ؟ وهو يتساءل : (كيف سيحمي بنو عثمان هذي الفيافي الشاسعة؟

طبعاً سيحفرون الخنادق ويقيمون المتاريس . هذا إنْ حملنا بيارقنا ونفخنا نفير الهجوم . لكن ، لنفترضْ اننا مجرد أثر خفي ، طيفٌ ، شيء لا يصاب ولا يلمس ، جيوش بـــلا مقدمة ولا مؤخرة ... تتفشى في الجو كالغازات ، ما الذي تراهم سيفعلون في تلك الحال ؟) .

ويضيف : (ان الجيوش النظامية ، كالنباتات ، ثابتة في مواقعها ومتأصلة الجذور ، يأتيها الغذاء عبر الجذوع إلى الرأس ... لكننا سنكون البخار ، يعصف عصفاً حـــين ينطلق ، ومجالات حركتنا واضحة المعالم في مخيلة كل عربي ، وحسبنا من الزاد أقله لنعيش ، وبالتالي لا شيء منهـــا لنموت . ان مأساة القوات النظاميـــة لهي في انتظارها الهدف . فالجندي يسيطر على مجال الرمي لبندقيته لا اكثر .)

ثم يستطرد : (... بعد ذلك حسبتُ عدد المراكز اللازمة لتغطية جبهة الهجوم العريضة ... مركزاً لكل بضعة أميال مربعة في العراء . كانت المعلومات الدقيقة تصلنا تباعاً عن قوة الاتراك وما من خافية عنا من باطن العـــدو أو ظاهره : شحنات الامدادات السريعة تنهمر كالسيل من مدافع وطائرات وعربات مدرعة وقطارات مصفحة ، ومع ذلك لا بد من مركز لكل أربعة أميال مربعة . فلو كان كل مركز حوالي العشرين نفراً ، ولا بد لاحتياج جيش تعداده يربو على السمّاية الف جندي لتحطيم الارادة العربية . هـــذا في حين لا يتوفر للمحتل التركي

سوى مئة الف) .

(وهكذا تكشفت لنا الحقيقة : ان المبادرة في ايدينا والعوامل الطبيعية والجغرافية إلى جانبنـا ، والمواصلات قريبة منا ، والصحراء ارضنا أولاً وأخيراً . وحسبما توقعناه تغابى الأتراك وأخطأ قوادهم خطأ شنيعاً حين نظروا إلى الثورة نظرتهم إلى الحرب التقليدية واستعدوا لها على هذا الأساس . انهم لم يفطنوا إلى أن في طبيعة الثورة مخادَعة وتغريراً ، ولا إلى ان الحرب ضد الثورة عمـــل ضائع وبطيء ، تماماً كتناول الحساء بالسكين .

ويقول لورنس : (كانت معظم الحروب حروب مواجهة والتحام ، نظراً لخشية أحد الفريقين أن يقع فريسة لتكتيك المفاجأة المخيف . أما حربنا الجديدة فسنستعد لها بصورة مغايرة ، ولن نواجههم ابـــداً الا في لحظة الهجوم) . تلك هي خلاصة حرب العصابات وروحها المتجددة . وكان لا بد من تجلي هذه الروح في ذروتها في ظروف الصحراء العربية ، حيث يتعذر على الجيش النظامي التواجد الكثيف في قاعدة ثابتة على خط مرسوم فوق الرمال .

هذا في الماضي .. أما في أيامنا الحاضرة فقد جاءت الطائرات لتحوّر من طبيعة الصحراء إلى حد بعيد . انها لم تعد تلك المجـاهل الصامتة المهجورة بقدر مـا أصبحت مجرد صفحة عاريـة ومكشوفة ، لذا اضطر عبد الكريم الخطابي بعد نضال مستبسل استطال سنوات إلى التسليم .

وكان السبب في ذلك ليس إلا ظهور طائرات فرنسا فوق معاقله في شمال افريقيا .

إذن أين هو المناخ الصحي لحرب العصابات المعاصرة ؟ انه بيئة تتوفر فيها الغابات ووسطٌ تسوده الأرض الوعرة وتحصّنه الجبال أو المناطق المأهولة . غير ان لورنس عرف كيف يعدّل الأساليب العامة كيما تماشي طبيعة الارض عنده منطلقاً من مبدأ الاستفادة القصوى من البيئة ، فيقول : (كان علينا ألاّ نعطي العدو هدفاً واحداً ، وقد انتهت الحرب وأكثرية جنود الاتراك لم تطلق رصاصة واحدة . ولم نكن في موقف الدفاع الفعلي إلا في مناسبات نادرة ومعدودة . ولقـــد كانت الاخباريات عن نشاطات العدو تصلنا بالدقة التي تؤمن لنا تخطيطاً متيناً وناجحاً) .

ولم تُنسِ الجبهة الحربية لورنس شيئاً من اهتمامه بالجبهة السياسية والدعائية . فقد وعى بذكائه الحاد فعل الكلمة المبين . ولا نبالغ ان قلنا (ان الصحيفة هذه الأيام أشد فتكاً من المدرعة) فقال في هذا المجال : (كان دخولنا منطقةً مـــا يتلو مكاشفة ساكنيها بمبدأنا الاسمي في الحرية والاستقلال ، فوجود العدو وغيابه كان ، ولا زال ، أمراً ثانوياً) .

وهو يقول أيضاً : « ان حرب العصابات صراع يستهدف نقاط الضعف عند الخصم . وكانت نقطة الضعف عنـــد الأتراك هي الموارد . لذا توجهنا بكل ما نملك من عزم

للضغط على منافـــذ موارده ، فنسفنا الجسور والخطوط الحديدية المكشوفة ، ودمرنا مخـازن التموين ، حتى بلغت الجيوش التركية في مراحـــل الثورة العربيـة الأخيرة شفير الهـــاوية » . عندها رأى لورنس ان الظرف يسمح بمضايقة العدو نفسه ، فعمد إلى الاغارة عـــلى أجنحته ومؤخرته بغية استنزاف ما تبقى في أوصاله من قوى ، إلا أنه تجنب قطع مواصلاته قطعاً تاماً إلى حين هجوم « اللنبي » الشامل . وهذا يؤكد لنا مجدداً مرونة حرب العصابات من حيث اختيارُها الهدف وزمانه حسبما يتطلبه سير المعركة ، لا حسب برنامج زمني معدّ سابقاً .

وفي كتاب الكابتن ليدل هارت بعنوان (الكولونيل لورنس) يطالعنا المؤلف بأبرع وصف للورنس الجنـــدي والمغوار . وفيه يرسم التفاصيل الكاملة لنهاية حملة فلسطين التي شهِـدت تمزقَ زهاء نصف الجيش التركي إلى جنوبي دمشق. فقـد اعتصم لواءان يضمان أربعة عشر ألف جندي منهوكي القوى في مراكز ومحطات السكك الحديديـة في شرقي الأردن .

ويقول ليدل هارت : « إن ما يلفت النظر هنا هو نجاح قوات خفيفة لا تتعدى في مجموعها الثـــلاثة آلاف جندي من فرقـــة شاتيور في ضرب تلك الجموع اليائسة واشاعة الذعر بين صفوفها ، في حين تولت مجموعة صغيرة لا تتجاوز ستماية رجل انهاء مقاومتها كليةً واطلاق رصاصة

الرحمة عليها » .

ثم يلخص الكاتب نفسه الحملة بجملها في عبارة واحدة حين يقول : « ان الذي حطم جيوش تركيا وخذلها ، على الرغم من صلابة القائد التركي وعرقه وقوة جيوشه المعنوية ، لم يكن الانجليز – بل كانوا هم المقاتلين العرب الذين دمروا طرق المواصلات في الوقت الذي أصبحت فيه هذه الطرق قضية حياة أو موت للاتراك . ان مصير الامبراطورية العثمانية كان معلقاً على تلك الخيوط الفولاذية المحترقة » .

ويلخص المؤلف مناقب لورنس الرجل فيقول : (لن يجرؤ التاريخ العسكري على اغفال ذكر هذا العبقري كأبرع من قاد مقاتلين غير نظاميين ، فهو يتفوق على ذاته لا من حيث كونه مخططاً فذاً فحسب بل كعبقري العصابات الأول الذي كشف بثاقب نظره مكامن الطاقة البشرية ودورها الفعال في حرب متطورة) .

ويدفعنا هذا إلى التحذير من أن الفاجعة ستكون عظيمة لو تجاهل الشعب الذي انجب هذا المفكرَ الحربي ، تراثَه وتجاربه . وكم كانت دهشتنا حين لم نسمع ذكره سوى في غرف المعاهد الخاصة ، فلا الصحافة أنصفته ولا الكليات العسكرية المعقودة اللواء لطائفة من العجائز أصحاب النظريات البالية . وليس يكفي أن يكون البطل بطلاً في أعين الصغار وحدهم في حين يُغفل ذكره اولئك الذين يحتلون المراكز القيادية في بلاده !!

مـا هي تلك النظريات الكلاسيكية التي تأسر الجنرالات البريطانيين وتتحكم في رسمهم خططهم الجهنمية ؟ بعبـارة مختصرة : هي الدعـوة إلى التحصن وراء أي قائم ، وذاك موفور اينما ذهبتَ ، ثم انتظار الخصم كي يبدأ الهجـوم – أي التزام جانب الدفاع كستراتيجية شاملة – وأخيراً محاولة اعاقته وتأخير الهجوم إلى ان توازي قواتنا الخصمَ عدة وعدداً .. عندئذ فقط يحق لك التفكير بالهجـــوم المضاد والرد عليه للقضاء على أكبر قدر من قواته لا غير . هذا كل ما عندهم . لكني أقول :

تأكدْ لو أن لورنس انعطف بتفكيره هذا المنعطف لما عرف التاريخ ثورة عربية على الاطلاق . ولو سلك طريقهم الايرلنديون لما برزت دولتهم الحرة وقد أزالت عنها صفة الاحتلال . ان الايرلنديين لم يلتزموا السكينة إلى أن يبزّوا بريطانيا في مجال الأسلحة . بل أخذ المشاغبون زمام المبادرة وتطورت حربهم مع الزمن ، وبتأييد كافة قطاعات الشعب ، إلى حرب تحرير جرت أشرسُ مواقعها داخل المدن المأهولة وعلى أسطح البنايات بشكل خاص . إقرأ رواية « اومالليي» (جيش بلا بنود) لتعرف حقيقة ما جرى في ايرلندا . انها على نسق كتاب دنيس ريتز (الكوماندوس) قصة مغاوير البوير ومغامرات فرسانهم الذي نشطوا في الالتفاف حول مشاة الانجليز وخرق صفوف فرسانهم .

لم تتوفر للتجربة الايرلندية بعض ميزات حرب البوير ،

لا ، ولا بدائية الحركة المتمثلة بجبال لورنس . لذا اضطرت إلى الاستعاضة عنها بكثافة السكان وضيق الشوارع والترصد من على سطوح البيوت ، الامر الذي لم تعرفه بلاد على هذا النطاق الواسع . ففي قصة من أحسن ما وضع « اومالللي » نرى الثوار وهم يتسلقون سلماً خشبياً اسندوه على جدار مقرّ البوليس ، وبكل جرأه وثقة ينزع المغيرون قرميد البناء ليتاح لهم صب البترول ثم الحاقه بعود ثقاب .

والحق إنهم أول الشعوب التي تجرأت ووقفت باسلحتها المتواضعة تصد جيشاً عصرياً مدرّعاً . وقد بلغت فعالية تلك الاسلحة المتواضعة حداً عجزت معه الدبابة الانجليزية المزوّدة بالرشاشات والمدافع عن النزول الى الشوارع ما لم تكن في حماية فرق من المشاة وذات مرونة فائقة في استعمال اسلحتها الاوتوماتيكية .

تصوّرْ مدى إهدار العدو لطاقته لو انه دعم آلياته ، الممكننة منها والعادية ، باعداد من الجنود الحماة تفوق حاجتها الاعتيادية .. الا يكفي ذلك ارهاقاً له حين يكون في أمسّ الحاجة إلى افراد مدرّبين لينفّذ بهم حملته الشاملة الرئيسية ؟!

كان من المحتم على الثوار في معالجتهم الآليات والدبابات المعادية بشكل خاص — اتّباع إحدى طريقتين : وسائل التفجير بالالغام والقذائف اليدوية ، أو وسائل الحرق بكوكتيل مولوتوف أو قاذفات اللهب . وقد شهدت الحرب

الأهلية الاسبانية تجديداً ملحوظاً وتحسينات جمة في استعمال كلا السلاحين ، لا في الهجوم على اللوريات العزلاء فقط بل وعلى السيارات المصفحة ايضاً .

وعلى ايدي النمساويين ممن تعلموا الكثير من ثورة النمسا عام ١٩٣٤ ، ذاقت آليات الفاشست طعم الخراب حتى لقّبوا عن جدارة بـ (رجال الديناميت) . لكن ذلك لم يحل دون اتّباع بعض الاساليب التقليدية في ظروف قاهرة أو مواتية .

ولأعد الآن إلى الحرب الاسبانية :

لقد تميز نشاطنا خلف خطوط فرانكو بالضعف الشديد، وكان ذلك لاضطرار الجمهوريين الى الجمع بين التطوير والتدريب معاً . هكذا تحولت النخبة القادرة على الصمود والقتال والايقاع بالعدو إلى ميدان التدريب ، وجعلت منهجها التملّص المستمر من المعارك السافرة حتى تحفظ للجيش الجمهوري نواته المثمرة وأمله الوحيد في النهوض الى المستوى المضمون في المستقبل .

يومذاك اكتفينا بفئة قليلة ظلت تمارس نشاطها خلف خطوط الفاشست الذين شكّلوا عصاباتهم على النمط النازي فيما تدعمها تشكيلات الطابور الخامس السرية . وكانت لنا كتائب الاشباح التي استغلّت ضعف الجبهة الجنوبية فركّزت عليها زمناً ، كما جاء في رواية ارنست همنغواي المعبّرة (لمن تقرع الأجراس) . ولو شاءت الاقدار

ونجحنا في تطوير المعركة كما نجحنا في تطوير الجيش الجمهوري إذنْ لامكن ايقاف تعاقب الاحداث إلى الحد الذي عجّل بتمدد النازية وسمومها ، ولما اضطررنا بعد قليل من الزمن إلى الانغماس حتى الاذقان في حرب كونية مدمرة .

ومع ذلك .. فروح المقاومة تبقى كامنة كالنار تحت الرماد .. فحينما احتلت قوات فرانكو المناطق المحيطة بأشبيلية في بداية الصراع ، هرع الفلاحون وعمال المناجم إلى معاقلهم في الجبال وأخذوا يشنّون هجماتهم من هناك . وفي الشمال التهبت جبال (استوريس) تحت ضربات الجمهوريين ، ممن فروا من معتقلات الفاشست المزدحمة إثر اجتياح الدوتشي لجمورية الباسك وجاراتها النمساويات ، بمعاونة هتلر . وبمرور الزمن وجد الاسبان ان الذي يُعدّه فرانكو ليس طبخة من الحصى ، فتعلقت ابصارهم بتلك القـلّة المجاهدة في القمم . ولقد ادركت هذه عجزَها الظاهر عن تحطيم قبضة الفاشية الواهنة نسبياً ، إلا أن افرادها ثابروا وناضلوا حتى شرّفوا اجدادهم الذين قاوموا نابليون حتى طردوه .

وعلى الجانب الأقصى من العالم — تقوم الآن دولة حرة في الصين ، لأنها لم تشأ ان توقف النار إلى حين حصولها على الدبابات والآليات أو ما يعرف بـ (ترف الحروب) . لقد استمر الصينيون في نضالهم بتشكيلات العصابات المتفوقة ، حتى بعد ان اجتاح اليابانيون الخطوط الدفاعية

الصينية وتوغلوا عميقاً في البر الصيني .

ولم يعدّل لنا المقاومـون الصُّفر تكتيـكات العصابات البارزة فحسب ، بل حـلّوا معضلة اساسية في مجال التمويل والتسليح . انهم هم الذين حولوا سرقة العدو وتجريده من معداته وذخيرته إلى ما يشبه الفن مهارةً وحذاقة . هذا كما طوّروا ما يُعرف بصناعة العصابات ، بانشائهم المصانع الصغيرة والمعامل المهنية المتحركة والخفيفة .. التي حلت محل المنشآت الثقيـلة التي يسهل قصفها من الجو أو دكها من الأرض بالمدفعية .

ان قصص المقاومـة في الصـين لهي أشبه ما تكون بالخرافات ، لكنها فعلا حقيقة واقعة كشف جانباً منها قلم الصحافي الشهير ادغار سنو في كتابه (الأرض المحروقة).

ويقول سنو : « لم يكتف الثوار بالمصانع خلف خطوط اليابانيين،بل انشأوا جامعة ومجالس محلية ايضاً. كذلك ادارات عامة لتحصيل الضرائب واجراء المحاكمات . ولو قسنا الرقاع الصينيـة التي سيطروا عليها لفاقَ بعضها مساحـة فرنسا بأجمعها . وفي حين قبض المحتلون على الخطوط الحديدية والمدن الرئيسية كنتَ تجـد باقي الأرض الشاسعة آمنـة بأيدي الثوار ، وهم يديرون فيها الحياة كالمعتاد » .

ثم يستطرد سنو ايضاً : « وكان للصين قوات ضاربة الى جانب فصائل المقاومـــة ، لكن : كلما طالت الحرب تجمد الوضع وتأزم . وسبب ذلك بدائية الاسلحة الصينية

اولا واخيراً . والثابت عندي ان زيادة طفيفة في الأسلحة ونوعيتها قابلة لأن تجعل من جيش الصين ومغاويره قوةً نافذة تقلب موازين الشرق الأقصى وتدحر الغازي إلى البحر الذي جاء منه » .

تلك هي المرحلة الستراتيجية الحساسة التي تميز النضال الفريد على الجانب الاقصى من كرتنا الأرضية .

اما لو قفزنا إلى تجربة ايطاليا في الحبشة لتأكد لنا مجدداً أهمية الارتباط بين الجيوش النظامية وقوات رجال المقاومة ، وخصوصاً في التحضير لحملات واسعة النطاق . هنا كان بعض فصائل المقاومة تحت إمرة ضباط انجليز نعرف منهم اثنين : البريغادير (سنفورد) الذي عاش في الحبشة ما يزيد عن الثلاثين عاماً - وبالتالي سخّر كافة معلوماته وتجاربه لخدمة المصلحة العليا — والميجور (اورد رتيجيت) الذي درّب وقاد العصابات اليهودية في فلسطين حتى تساوت في ظرف قصير مع المقاتلين العرب . أما اشتراكه في حرب افريقيا يومذاك فقد انحصر في رسم الخطط وتحضير المفاجآت التي هي خبز العصابات وملحها .

ويبقى دائماً سؤال محيِّر : لِمَ لا توضع هذه الحقائق وغيرها من التجارب التي قد تفوق مآثر لورنس بين يدي الشعب المتحفز للقتال ؟ لِمَ لا نطبق على أنفسنا في بريطانيا اولى بديهيات الحرب : تعلم ما أمكنك من العدو ؟

لست أدري .

***

يكاد يكون مستحيلاً على المرء ان يعرف تاريخ حرب العصابات بصورة شاملة وسريعة دون ذكر آخر مراحلها وأشكالها النهائية . وانتقاؤنا لروسيا تبرره التجربة المفيدة والبطولية معاً . فالروس ليسوا مبتدئين في هذا المجال . لقد عرفوا الحرب اثر ثورة اكتوبر ١٩١٧ ، وصدّوا بمعداتهم الخفيفة غزوَ اربع عشرة دولة مجاورة باساليب العصابات ، أو كما يفضلون القول : اساليب الأنصار ، التي لم ينسوها حين جُن النازي ودخل اراضيهم . لقد ظن الناس حين طفحت الصحف باخبار تلك الزمر المقاوِمة أن الروس استنبطوا شكلاً جديداً للحرب ، مع انهم لم يُدخلوا شيئاً جديداً في صفة العصابات ، اللهم إلا البطولة الخارقة والامانة في التنفيذ . ففي آخر نشرة صادرة عن نشاطهم خبرٌ عن كشافَين لا يتعدى الواحد منهما الثالثة عشرة من العمر نجحا في اقتناص راكبي الدراجات الألمان بواسطة سلك معدني يعترضان به الطريق . ولا ازايد إذا قلت : ان أطفالنا أيضاً مستعدون لمثل هذه الأعمال ، وعندنا الكثيرون منهم يسألون ويستفسرون بأكثر مما يفعله الرجال البالغون أحياناً .

لربما أدخل الأنصار الروس تحسينات شاملة وجددوا في استعمال الأسلحة والمتفجرات ، لكن الذي أراه انهم رغم نشاطهم

الفعال الواسع النطاق لم يخرجوا عن مضمون ما عرفناه ودرّسناه صيف ١٩٤٠ في كلية التدريب باوسترلي . ان بعضاً من خبرائنا هناك وصل إلى حد تحويل علب مسحوق الكاكاو إلى قنابل ، أما المدافعون عن « اودسا » فقد استعاضوا عن علب الكاكاو بعلب الكافيار . وهكذا نجد صحفنا يومـاً بعد آخر ، في حديثها عن الأنصار الروس ، تكشف مجمل اساليبنا نحن في كلية التدريب . وهذا ما يدعو المرء إلى الارتياح والرضى بإيمانه المتزايد بمستقبل العدو الحالك ، رغم كل ما يتسلح به من ماكينات الدمار الشامل وتكنولوجيا الموت .

وهناك اشارة اخيرة من التقارير التي وصلتنا من الجبهة الشرقية ، وهي ان مستوى مقاومة فرق الأنصار لا يختلف كثيراً عن مثيله في الصين أو البلقان . فما ان يتخـلى النازي عن المدن والقرى ، بعد إحراقها بالطبع — حتى يسرع السكان المحليون في العودة ويشكّلون حالاً فرقهـم العسكرية والمدنية الخاصة من جديد .

أمـا حكاية الطيّار الذي أُسقطت طائرته في الاراضي التي يسيطر عليها العدو ، ففيها نسمة من الصمود الفولاذي والتنظيم الدقيق اللذين يتحلى بهما رجل روسيا المحارب ، وينبغي ان يستلهمهما كل مدافع عن وطنه . لكنه يبدو ان الطيار سقط بين قومه في الفترة التي تراجعت فيهـا بعض الفرق الضاغطة عن موسكو ، فوجد الادارة المحلية

قائمة والأمور تستعيد مجراها باطّراد . ولأنه كان مصاباً نقلتْه فرقة الاسعاف على الفور إلى المستشفى الخاص حتى تبرأ جراحه . ومن ثم تم نقله بالقطار السري إلى وحدته بعد أن زوّده المشرفون على المنطقة بشهادة صحية وتقرير وافٍ عن الأسباب التي حملته على الغياب طوال هذه المدة . وفي أسفل الوثائق أُلصقت الطوابع ومهرت بالامضاءات والاختام القانونية .

تلك هي آخر صورة لحرب الانصار الحديثة . والاخبار ما فتئت تتوالى عن حركة مستمرة إلى الامام ومزيد من التفاعل الجاد داخل بنية المقاومة أينما كان . لقد نشرت « التايمز » أثناء طبع هذا الكتاب خبراً مفاده : ان ما يربو على المئة الف ثائر يتحصنون الآن في يوغسلافيا . وما عتم ان استرعى انتباهي اسم مغوار آخر يدعى ميخائيلوفتش يقود جيشاً سرياً يعزل بلغراد ويحتل ربع بلاد الصِّرب ، وتحت سيطرته ثلاثة مطارات كبيرة .

اذن ، لم يعد السؤال : هل حرب العصابات ممكنة في اوروبا أم لا ؟ لقد ترسخت جذورها منذ زمن في البلقان ، وهي الجبهة الحساسة التي تتأثر بها إلى حد بعيد خطط البريطانيين . أضف إلى اليوغسلاف محاربي بولندا والنروج ومقاومي فرنسا الجريح . إذن إن الحرب لم تعد مقتصرة على أهالي الجبال من دون المدن . فأخبار العواصم المحتلة

لا تشير إلى بوادر اضطرابات محدودة فقط – بـــل إلى انتفاضات حادة قد تحوّل العصيان السلمي إلى آخر مسلّح ، أو إلى قتال شوارع على نطاق شامل . يومذاك تقترب حرب العصابات أكثر فأكثر من مواصفاتها المثالية .

الفصل الرابع

الاستعداد للمقاومة على يد الشعب

حين ندرس تجارب العصابات السالفة يستوقفنا قاسم مشترك فيما بينها هو : خروجها إلى المسرح الفعلي بعـــد الاحتلال بفترة وجيزة أو معـــه مباشرة . ومن شأن هذا ان يستدعي التساؤل عـن مدى استعداد الشعوب لتلك الظروف الطارئة وتحضُّرها المسبّق المدعّم بالتدريب وتلقـّن الأساليب وخفايا الصنعة ، بالاضافة إلى الالمـــام بطبيعة الأرض التي تجري عليها العمليات .

من حسن الحظ ان الغزو الالماني لم يقرب شواطئنا بعد ، وقد لا يجيء بالمرة . غير ان الفرصة التي لم تتح لبـــاقي المقاوِمين في الماضي يجب علينا انتهازها إلى أقصى حد في الوقت الحاضر . مثلاً : لنبدأ على الفور بعملية مسح شاملة لأرضنا حتى ندعم خططنا النظامية وغير النظامية بمعلومات طوبوغرافية صحيحة ، وبغية الاستفادة من عامل تكتيكي

معظمُه خافٍ على العدو ، ان لم يكن جاهلا اياه بالـكلية .

وفي هـذا الخصوص أشدّد على كل جندي ، وكل رجل قادر ، وكل فرد من الحرس الوطني ، وفدائي واقول : كن مستعداً منذ الآن ، ذلك خير من العمل بالجهد والألم في تنظيم المقاومة فيما سيفُ المحتل مصلت فوق الرقاب . لنهبّ هـــذه اللحظة ونفتش برويّة عن أنسب المخابىء والمعاقل ومراكز التنقّل ونقط العمليات . ان العمل حسب قاعدة التجربة والخطأ في ظروف بالغة الحرج ، أمر ضئيلٌ حظه من النجاح . فلنستعدّ اذن ، ففي الاستعداد بعض ضمانات النجاح ان لم تكن كلها .

ما هي متطلبات الاستعداد ؟

طبعاً لكل مقاتل ناحيته ، وميدانه ، ومجال نشاطه : فوق القمم أو في طرقاتها وحول قراها ودواخلها . فأولى المتطلبات اذن أن يخْبُرَ المقاوم منطقته خبرته بباطن كفّه ، لا في النهار فحسب بل وفي الليل أيضاً . وهذه ليست مغالاة مني . ان على المقاوم أن يستوعب جغرافية أرضه استيعاباً تاماً منذ البداية : مشجّرة ، منبسطة مكشوفة ، وعرة ، ذات تضاريس شديدة ، عاليـــة القمم ، غائرة الوديان ، مأهولة ... زراعية – ريفية – صناعية ، ارض مناجم ... الخ . ثم ينكبّ بعد ذلك على دراسة وتعيين تفاصيلها وحدودها وتربتها ومياهها وطرقاتهـــا ومسالكها وممراتها ، بالدقة الشديدة وحسب ثوابت لا تتغير .

ان لحظة الانطلاق تحين في أية ساعة ، وعلى المقاوم أن ينطلق لتوه وهو على بيّنة من اتجاه وبُعد المكان المقصود ، ثم يختار الطريق الأقصر والاسلم .

كن خبيراً بالمعابر المختصرة وممرات الحقول المكشوفة . عيّن نقط الاختباء على طول خط التحرك : ابنية ، أشجار ، خنادق الخ . وفتش عن نقط تصلح كمراكز مراقبة ، تطل منها على اوسع المساحات وتكون مواتية مع دوران الشمس . فالمركز الجيد في الصباح هو الذي يشرف باتجاه الغرب ، فتكون أشعة الشمس من خلفك منصبّة على الأرض ؛ لا واقعة في عينيك ، فتحول بينك وبين الرؤية الواضحة . صنّف كل مركز وعدّد ميزاته بتدوين الملاحظات الضرورية . ولا يعني ذلك ان كل فرد عليه ان يحشو جيوبه بالكراسات ، كلا ، بل يتولى ذلك قائد الناحية ان كان من الحرس الوطني أو آمر الفصيلة ان كان من المقاومين ... ويصنّف المراكز حسب افضليتها ، وبالتتابع ، على أن يحفظها المقاوم ويستوعب اكبر قدر ممكن من هذه المعلومات . فمن يدري متى تحول الظروف بينه وبين قائده أو متى يخسره في عملية ما !

ما من شيء يساوي ذاكرةً نشطة ، وخصوصاً في ميدان كميدان المقاومة هذا . وإذا كنتَ تشكو من النسيان فما عليك سوى تكرار هذه التجربة مرّاتٍ عديدة ، وستجد انك تتحسن باستمرار بعد كل محاولة :

أُدخل أية غرفة ثم جُل ببصرك في محتوياتها وأرجائها لدقيقتين أو ثلاث ، ثم انتقلْ بعدها إلى غرفة ثانية وابدأ بتدوين جميع ما رأيت على ورقة ...

« ان الذي يدعوني إلى التشدد في تنشيط الذاكرة هو خطورة وجود الورقة المكتوبة أيام الحرب .. فقد تقع في يد غير مسؤولة أو معادية وتؤدي بالتالي إلى أوخم العواقب » .

أما النقاط السرية كمراكز الانطلاق والمخازن والمخابىء والتي سنتوسع بها فيما بعد ، فيُحظر على الجميع حظراً باتاً تسجيلها ، أو وصفها كتابياً ، مهما كانت الدواعي .

إن قمتَ يوماً بنزهة أو ركبت دراجة تتجول بها في أرجاء مقاطعتك ، فانتبه إلى تشكيل الأرض ومعالمها مع كل خطوة تخطوها . ولا تسترسل في النظر إلى الامام دون أن تلتفت إلى الوراء ، لأن معرفة الدرب من جهة واحدة لا تنفع في الإياب نفعها في الذهاب . كذلك الرؤية البعيدة وغير - العادية ، فان اضطرتك الظروف فيما بعد إلى الزحف أو الجرّ أو الاستلقاء طلباً للحماية ، فستجد أن المناظر المألوفة قد تبدلت بشكل كبير حين تنظر اليها من الأسفل ، فلا يوقعك ذلك في البلبلة والارتباك .

تمرّنْ في كل آن ، وخاصة في الطريق إلى العمل وإلى البيت ، أيام الآحاد والعطل ، وأنت وحيد ، أو حين تصحب عائلتك - فالمهم أن تبقى عيناك يقظتين وذاكرتك كالاسفنجة .

عيّن كل طريق وممر ، ودغـل ، وحقل ، وهضبة ، واذكر كل حاجز ومَعلم بارز ، وعلامة فارقة ؛ وتعرّف على كل بيت وكوخ ناء ؛ وتفحّص كل مجرى ، ونهر ، ومستنقع أو بحيرة ، مهتماً بالأماكن العميقة أو الضحلة من الأنهار للعبور ، وكذلك مواضع التيارات والدوران فيها .

ان استيعابك المتقن لطبيعـة الأرض لا يسهّل جعل تنقلك عليها سريعاً وآمناً فحسب ، بل يفيدك للتغطية أيضاً : في التواري والاختفاء والرصد والاستكشاف والتجمع والاغارة. عدّد المنشآت المختلفة التي قد تصبح هدفـاً للقصف أو الاحتلال — تعرّف إلى مكان وغرض كل منها .. محطات التوليـد والتحويل - مراكز البريد واللاسلكي ، والمصانع الحربية والمدنية . تجوّلْ حولهـا ليل نهـار ولا تقل : لأنني اعرفها نهاراً سأعرفها حتماً في الليل . ان الأشياء تبدو دائمـاً مغايرة للعين في الظلام تدرّبْ على الحركة والاستدلال السريع في الليالي الحالكة الظلام بنفس القدرة على الاستدلال حين تكون السماء مقمرة . والتقويم العلمي الدقيق يُري أن في بلادنا اثنتي عشرة ليلة كاملة السواد في السنة — زِد عليها مئة ليلة أو أكثر ، نتيجةً للمناخ الانجليزي واستمرار تجمع الغيوم وانتشار الضباب — اثنائذاك يتوجب تحديد الاتجاهات ومسارب التنقل بما يعرف بخاصيّة الحس . استدلّ على حدود المزارع المتفرقة والمتجاورة ، واحفظ فيها الحواجز والتصوينات والاسلاك الشائكة . واربط مع

كل قـائم علوّه واتجاهـه والمنفذ منه ، فإن حوصرت هنـاك يوماً ، فستكون على بيّنة من موقعك وامكانات الحركة فيه وسلامتها .

كذلك أضِف إلى خاصية الحس خاصية اللمس ، فتمرّن على ان تتلمس طريقك بيديك ، وكذلك خاصيةَ الشم لمعرفة نوعية البناء الذي ولجته في الظلام : اسطبلٌ هو أم زريبة ماعز أم حظيرة ماشية ، وخاصيةَ السمع المرهف : لتلتقط نقيق الضفادع وتقدّر بعلو الصوت وانخفاضه بُعد الوادي أو البركة أو المستنقع .

وإليك إشارة أخرى عليك ان تتذكرها جيداً ، وهي الأرض الميتة ، أو الأرض المستورة (Dead Ground) ، حيث يتميز سطح المنطقة المعنية بحسنات استراتيجية جمة : للتحصن ، أو للمراقبة ، أو الاستفادة منها كمعابر للتوصيل والمرور . وكذلك لاستخدامها نقط تجمع لمفرزة من المقاومين ومعاقل الراحة والتواري ... أو لنصب الكمائن والايقـاع بالدوريات المعادية والمفارز التائهة .

وحتى لو تعذّر وجود أرض ميتة كاملة الأوصاف ، وأمينة من الجهات الأربع ، فانه يمكن العثور دائمـاً على أرض نصف ميتة ، أي أن لها نفس الميزات المذكورة من جهتين أو أكثر . إن مهمتك تنحصر أولاً في معرفة خصائص كل بقعة ، ثم انتقاء أصلحها وأنسبها أو أقربها إلى مكان تجمّعات العدو .

وعلى كل فصيلة أو حضيرة من المقاومين ان تنشىء خارطة رملية مصغّرة لمنطقتها الخاصة . والخارطة الرملية كما يشير الاصطلاح عبارة عن نموذج لجانب من البلاد ذي ثلاثة أبعاد ، يجسّم الطبيعة حرفياً . وهي سهلة التكوين وقابلة للتحوير والتصحيح كلما استزاد رجال المقاومة في كشفهم الأرض ومعرفتهم بتفاصيلها ودقائقها .

أما المواد المستعملة في صنع النموذج فهي مواد بسيطة يسهل الحصول عليها دائماً . فللدلالة على مجاري الأنهار ، تُستعمل عروق من الصفيح ، وكرمز للغابات والأشجار تغرز عيدان كبريت لها رؤوس خضراء من القماش . أما البيوت فتمثل بمكعبات خشبية مناسبة .. وهكذا . وينبغي وضع الخارطة في مركز القيادة أو كوخ العمليات حتى تبقى تحت الأنظار أطول مدة ممكنة ، فتألفها العين ثم تنسخها بتفاصيلها الدقيقة على صفحة الذهن ، ويعيدها المقاتل ويدرسها باستمرار دون كلل .

واياك أن تظن ان الطرق والهضاب والوديان والغابات هي وحدها الجديرة بالمعرفة ، فالدراسة . هناك أيضاً المدن والقرى وكافة التجمعات السكانية . ان العدو لن يكتفي من البلاد بالأرياف والمناطق غير المأهولة ، فشهيّته لا تفرق بين مسكون وغير مسكون . لذا عليك بخرائط المدن والقرى المجاورة ، مفصّلة عليها المعالمُ الرئيسية والشوارع الكبرى منها والمتفرعة ، وحتى الأزقة ، وواضحة المداخل

والمخارج ونقط العبور كالجسور . فهذا الجهد ليس ضرورياً لجعل البلدة محرَّمة على العدو فحسب ، بل انه لازم لجعل حركتك داخلها وخارجها اسهل واضمن ، فيما لو حاصرها العدو أو شرع في تطويقها .

اما عن المنازل فاختر أنسبها في كل مدينة وقرية لتجعل فيها نقط مراقبة أو مراكز دفاعية أو مخابىء سرية . إبدأ منذ الآن ولا تؤجل الاختيار إلى حين مجيء العدو والحاجةِ معاً . ابحث عن مجاري التصريف في المصانع الكبرى فقد تدخل منها بقصد التخريب . ولا تغفل عن المداخل وفتحات توريد الفحم لمحطات الطاقة ، فعبْرَها يمكن ارسال شحنة متفجرات تلفّها طبقة سميكة ملوثة بغبار الفحم لتبدو كغيرها من قطع الفحم ... هذه يرميها الوقّاد في بيت النار ، فيتطاير بما فيه ويخسر العدو امكانية الاستفادة منه .

كذلك عليك ان تعلم كيف تدخل الأبنية المهمة دون استعمال الأبواب الرئيسية ، فاحفظ مخارج كل بناء وفتحاته ومواقع نوافذه حتى يسهل عليك الهروب لو تطلّب الوضع يوماً خروجاً سريعاً وآمناً . انزلْ إلى شبكة المجاري تحت الطرقات ، ولا تهتم بنتانة الجو فيها ، فهي تؤمّن شبكة مواصلات سرية ممتازة . وينبغي طلب المعونة من مهندس البلدية أو الناحية فيما يختص بالحركة داخلها ، كأنْ يرشدك

إلى كيفية تجنّب الغازات السامة التي لا تنفع معها الأقنعة العادية .

ان بحثك الدؤوب عن معالم المنطقة يحتم الاتصال والتعاون مع ساكني تلك المنطقة ، فاعمدْ إلى توثيق العلائق معهم على أساس من الوعي الوطني والثقة المتبادلة . والشروعُ بالتعرّف إلى الأهالي قبل الاحتلال يغنيك عن المخاطر التي تتعرض لها إبانه . ذلك أن الرجل العادي مهدد رسمياً إذا مد يده لمساعدة المقاومين أو الأنصار . فالتعذيب والعسف والموت عقوبات يجب توقّعها أيام الاحتلال . إلا أنها غالباً ما تفقد رهبتها وفظاعتها فيما لو كانت المعرفة المسبقة قائمة على أرض صلبة من المشاركة والتعاون ، لا يزعزعها حتى انتصاب المشانق والاعدامات الجماعية .

هذا وعلى أفراد الحرس الوطني أو مقاومي المستقبل كافة ، تدريب باقي التنظيمات المدنية التي يمكن تحويلها إلى عصابات من المقاتلين ، كالدفاع المدني ، والاطفائية — فضلاً عن جماعات الموظفين الرسميين والعمال وموزعي البريد وموزعي الطعام والسائقين والنواطير والحراس الليليين ... والمرضات . ان حياة بلدة ما قائمةٌ على أكتاف هؤلاء جميعاً ، فهم أهلوها وساكنوها وحافظو خفاياها وأسرارها ، فإن احتجْنا إلى تفاصيل بناءٍ معين رُحنا إلى المفتش المختص ، ولو وددنا نقل برقيةٍ سرية عهدنا بها إلى حامل البرقيات .

ولا غنى لوحدات المقاومين عن التعرف شخصياً على الجيش النظامي المرابط في المنطقــــة ، كأن ندعو آمره ومرؤسيه باستمرار إلى البيوت للتشاور وتبــادل الآراء والاستفادة ، ولا نحول بين الجنود وبين اخوانهم من أبناء الشعب ، بل نزيد من توثيق الصلة بينهم ولو تطلب الأمر اقامة المناسبات لذلك .

لنألفْ وجوه الرسميين، وخاصة الضباط، ورتبهم وشاراتهم وأرديتهم المميزة . فإن تم وسيقت أمامنـــا جماعات من جنودنا بعد أسرها ، أمكننا بسرعة أن نميز فيما إذا كان هؤلاء من جنودنا حقاً أم انهم أعداء متنكرون يبغون الوقيعة بنا وخداعنا ، فاحذرْ من التغافل اذن أو التساهل ، فقد لا تفطن إلى أضاليلهم إلا بعد فوات الأوان .

ومن المستحسن جداً اثناء انتقائك الأماكن في الريف أو المدينة ، اختيار كافة المراكز الستراتيجية للمستقبل ، من حصون أو مقرات للقيادات أو المعسكرات ... ولتكن ميزاتها انها كفؤ للصمود وعدم الوقوع السهل في أيدي الاعداء خلال تقدمهم أو بعد احتلالهم . ولا تنسَ أن هذا الاختيار يزداد صعوبة في حال انتقاء المخابىء ، ومخازن الأسلحة والذخيرة ، فنحن الآن في عصر الحروب الصاعقة ، التي لا تتطلب سوى ساعات معدودات لتـُحيل بلداً حراً إلى مستعمرة .

لذا أراني اقترح على منظمات المقاومة والفدائيين وفروعها أن

تنشط في طمر صناديق عازلة للرطوبة بالمقاييس التقريبية التالية : ١٢٠ سنتم × ٢٠ سنتم × ٢٠ سنتم ، في حُفر مهجورة كالآبار والصهاريج الفارغة والأشجار المجوفة والكهوف الخ .

في هذه الصناديق يمكن اخفاء الثياب المدنية والأسلحة الخفيفة (سآتي على ذكرها في فصل لاحق) لحين الحاجة ، فإن حوصرت فصيلة من المقاومين توجّب استبدال ثيابها المميزة بأخرى مدنية واخفاء أسلحتها خشية الافتضاح والأسر.

ان التحضير للمعركة ليس مجرد أسطر في كتاب توجيهي ، كلا ، فالممارسة هي كل شيء في حرب العصابات . فعلى وحدات المقاومة ان تمتحن بجرأة وصدق مختلف مؤهلاتها ومستواها العملي كيما تصحّح من أخطائها وتتفادى أية انحرافات خطيرة . أما تلك الوحدات التي حُكم عليها بالتدريب النظامي الأجوف – اتقان مشي الطوابير والحركات الممجوجة التي لا طائل تحتها – فان مدربيها أنفسهم يقترفون بحقها جرائم بشعة ويحيكون لها كفنها قبل أن تنزل إلى الميدان بشهور طوال .

ولا يعني هذا الكلام اننا زُمرٌ عمادُها الفوضى وعدم الانضباط . كلا ، ان لنا حركاتنا وتدريباتنا الناجعة في الاستعداد والسير والتجمع ، وهي بأساليبها المبسطة وفعاليتها كافية لرجل مقاتل في الخفاء . ومنها اننا ندع فريقاً من الرجال يتلمسون وحدهم طريق العودة في الظلام الدامس، ثم

نعيد التجربة بعد أسبوع لنرى قوة كل فرد أو فريق .
ومنها ان نجعل ظهور بعض رجالنا للشارع ثم تمر في الطريق تشكيلات طوابير من رفاقهم ، وعليهم أن يقدّروا عددها اعتماداً على السمع وحده .

***

وهذه نصيحة أخيرة في مجال الاستعداد عند المقاتلين . وهي تأخذ بعين الاعتبار علاقة الفرد بسلامته ، أي بسلاحه . فعندما تعرّف هنود اميركا على البندقية ، لم يكن المحارب منهم يخطو خطوتين دون ان يحملها معه . ولم يكن لسانه يكذب إذ يقول : (بندقيتي هي أمي ، تطعمني وتلبسني وتحميني) ... حتى أسماه الرجل الأبيض : ابن البندقية . وقد صدق . فعلى كافة المقاتلين ان يتشبهوا بالهنود ويكونوا أبناء البندقية الابرار ، فلا يدعوها تسقط لحظة من أيديهم . فإن جاءت الطائرات أو هبط المظليون بالمئات على حين غفلة ، أخذت بندقيتنا الجاهزةُ دائماً على عاتقها مهمة اعاقتهم وصدّهم إلى حين وصول قوة نظامية أو قوة كافية من المقاومين .

خذها إلى الحقل ، ان كان ثمة سهر ، وإلى مكان عملك أو متجرك ، وإلى كل مكان . ولا تدعها بعيدة عن سريرك في الليل ، فالعدو الذي يصادر أول ما يصادر الاسلحة ، سيضطرك إلى الهروب عبر السطح وأنت أعزل بلا سلاح .

واعتنِ بها واحفظها من الغبار والصدأ ، ووفّر لها الذخيرة ما استطعت . واعلم ان حبك وغيرتك على عائلتك ووطنك مرهون بحبك وغيرتك على البندقية . انها تذود عنك وتصون كرامة الوطن . فان اضطررت إلى اخفائها فخبئها في مكان مضمون بعد أن تنزع منها الملقِّن . إحمله في جيبك أو أخفِه هو والعتاد في مكان مغاير ، زيادة في الحرص . واحفظ على الدوام ان الاهمال داء قتّال .

الفَصْل الخَامِس

مقومات حرب العصابات والعمل الفدائي

حين تجيء الساعة ويهاجم العدو أرضنا من البر أو الجو ، سيعرف الواحد منا على أية صورة ينبغي التصرف — هذا إن كان مستعداً لهذا الاستقبال في الأصل . ان حرب المقاومة هي حرب الأراضي المحتلة ، لكن أساليبها صالحة أيضاً لصد الهجوم أو تأخيره . فلقد تناهت القوة المعاصرة إلى ما يشبه المعجزة ، وغدا الحد الفاصل بين الهجوم والاحتلال حداً جد شفاف ولا زمن فاصلاً بينهما .

قد تقول : ان شيئاً من هذا القبيل لن يحصل . وهنا موطن الخطورة . فأنت في تلك الحال تنسف فكرة الاستعداد من جذورها . اننا لم ننسَ بعدُ التعليمات الرسمية التي ظهرت على شاشات السينما ترشد المواطنين إلى كيفية الاحتماء من الغارات الجوية .. يومذاك تمتم الكثير منا متفائلاً : لن يحدث شيء من هذا القبيل ... غير أن العكس الفظيع هو الذي حدث بالفعل . اليس كذلك ؟

وتتجلى طاقة رجال المقاومة ويزداد بأسهم في المهمات التحريرية خاصة . لذا يتعين تحويل قسم لا يستهان به من المقاومين إلى فدائيين . لكننا لا نتوقع بكوننا فدائيين ان تتحول معركتنا إلى مواجهة على غرار المواجهات السالفة أو معارك مكشوفة مع العدو . تلك عملية انتحارية قطعاً ، وبالتالي لن تكون حرب مقاومة كما هو مفروض . فللجيش النظامي وظيفته ، أما وظيفتنا فتنحصر في شقين أساسيين : مراقبة العدو ومتابعة تحركاته (أي الرصد والاستطلاع) ، ثم اقامة العوائق في طريقه ومباغتته في هجمات مركزة وسريعة .

– اولاً : **مراقبة العدو** : ليست هذه محتمة لرسم الخطط وترقب التحركات والهجمات فقط ، بل انها ضرورية لفصائل المقاومين والفدائيين كالحاجة إلى معرفة الأرض ذاتها . فهي تكشف مراكز العدو وقواته وأسلحته وتوزيع تشكيلاته واتجاهاتها ، ومن ثم يتم نقلها أولاً بأول إلى الوحدات النظامية في الجوار .

ثانياً : مهمات الاعتراض والاعاقة – وسنتوسع في تفصيلها فيما بعد حين ندرس كافة ضروب الاغارة وتدمير طرق المواصلات والمضايقة المشتملة على قتل جنود العدو ونسف مواده الحربية .

لو استوعبنا النظريات الأولية ومارسناها تدرّباً حسبما جاء في الفصل السابق ، لوجدنا أنفسنا مؤهلين تماماً

للعب أدوارنا دون ارتباك أو جهد أو خطأ . فمقومات حرب العصابات ثلاث : الحذر - والخفاء - والمفاجأة ، ويلزمها حاجتان ضروريتان لتحقيقها : المبادرة الذاتية والانضباط .

قد ابدو في نظرك مثيراً للدهشة ، ما دمتُ قد وضعت الحذر في المقدمة ولم أُشِر إلى الشجاعة عوضاً عنه . ان الشجاعة من أعم الصفات البشرية ، وطوال حياتي العملية لم أتعرف سوى بقلة من الجبناء كان اكثرهم يعاني من اختلال عصبي أو مرض نفساني . وأكاد أقرر ان ردود الفعل كانت ستختلف عندهم لو أُعطوا ما يستحقون من العلاج . فالانسان بصورة عامة جريء وبصورة عامة أيضاً يخاف . فمع نشاطي الحافل جاء وقت تملّكني فيه الفزع - وان كنت لا أظن ذاك الكولونيل الاميركي محقاً كل الحق ، حين قال : (تسعة رجال من عشرة يخافون اثناء القتال بصورة أو باخرى ، أما العاشر فمنافق) .

ان على رجل المقاومة أن يقدِّر الحذر واليقظة الشديدة لا الخوف أو الجزع . وليس الاقدام ما يتوجب علينا تفضيله والتنويه به على الدوام ، فالمسألة أولاً وأخيراً هي في استغلال البديهة حين تداهمنا الأخطار ، وهذا ما يستوجب هدوء الأعصاب وتماسكها .

ان المحارب الكفؤ ليس هو ذلك المتهور الأرعن الذي يدخل إلى أتون النار دونما التفات إلى خط الرجعة ،

فهذا الصنف من المقاتلين يستثير الخشية اكثر من العدو ذاته ، فهو أولاً يقتل نفسه كما انه قد يجر معه أيضاً بقية الرفاق . أما المحارب الكفؤ فهو من يُعهد فيه الذكاء والجرأة ، لكن في حدود التنفيذ المنظم لعمليتي الهجوم والانسحاب على السواء . ليس يجوز لنا أن نكون ممن يفرّطون بأرواح المقاتلين ، لأن الطلب عليهم غالٍ ، فمهمتهم هي الضرب والتدمير الأقصى ثم التراجع والانسحاب سالمين . ولو أدرك المقاتل ان الخطة تضمن له السلامة بعد اتمام العملية – سواء أنجحتْ تلك العملية أم لا – فإنه لا شك سيسخّر المزيد من طاقته ويضعها في اطارها الهادف السليم ، والأهم من ذلك .. في اطارها الفعّال .

والمحارب الكفؤ أيضاً من يبقى ثابت العزم ، رائق الذهن ، غير مشوش ، وسط تطورات بالغة العنف تشل قدرة التفكير عند الأشخاص العاديين . ويمكن أن نقع على ملخص هذه الواجبات في قول قائد صيني مسؤول : (يهاجم الأنصار للإفناء – وينسحب الأنصار مداراة للفناء) وهذا صحيح . وبتطبيقه اكتسب محاربو الانصار الصينيون من الخبرة في الاقدام والمناورة ما يثير الاعجاب والفخر معاً.

وهذه مقتطفات مما نشره الصحفي ادغار سنو في كتابه (نجمة حمراء فوق الصين) عن لسان ماوتسي تونغ القائد الصيني البارز .

أولاً – على الأنصار ألا يخوضوا أية معركة خاسرة ،

فإما ضمانات كبيرة للنصر أو لا التحام بالمرة .

ثانياً – المفاجأة هي عنصر تكتيكنا الأول . أما الحروب الثابتة والحاسمة فقد ازلناها من قاموس حربنا منذ زمن طويل .

ثالثاً : ما من خطة يجري بحثها وتتم الموافقة عليها إلا وتراعى في وضعها مراحل الهجوم والانسحاب بدقة وبتفصيل زائدين . ان أي هجوم لم يوفّر له الحرص والاحتياط اللازمان قد يجر على الأنصار فرصة المناورة من قِبل العدو . وأية أخطاء أساسية معناها القضاء مسبقاً على الخطة .

* * *

وثاني مقومات حرب العصابات هو التكتم والخفاء . وهو منطقياً مرتبط بالعامل الأول ، فالخفاء جزء لا يتجزأ من الحذر ، وهو للفدائيين بمثابة الحصن ، حصن ذاتي بلا صلب ولا اسمنت ، ولا تؤثر فيه المدفعية ولا المتفجرات ولا حتى قاذفات القنابل . وبالفعل ألن تكون مضيعةً للجهد وللوقت أن يحاول العدو مقاومة الأشباح أو تصيُّد الدبابير ؟

ان الفدائي أو المقاوم لا يهدأ ، بل يظل في حالة تحرُّكٍ وانتقال دائمين ، فحلوله في بقعة ما يجب ألا يطول أكثر من نهار أو ليلة واحدة ، إلا إذا كانت البقعة في منطقة استراتيجية آمنة كالجبال . انه في كل مكان وليس

في مكان ، معاً . وهو يضرب هنا اليوم ، وفي اليوم التالي يضرب هناك . ثم إنه يعرف جيداً كيف يحمي نفسه ، ويموّه مكانه ومكان أدواته بشتى الوسائل .

وعليك أيها المقاوم الفدائي ألا تنسى أنه عليك ملاحقة العدو كظله ، وألا تكون ظلاً أسود فحسب بل شريراً أيضاً ، كالبعوضة في خيمةٍ مظلمة : تلسع كيفما وجّهت إبرتها دون ان تطالها يد الملسوع . ان عليك ان تؤذيه ، ساكناً صامتاً ، كامناً ، مع زمر صغيرة ، عند ضفاف الأنهر والخنادق ، وفي القاطرات والسيارات ، وان تظل تتحول من مكان إلى مكان طلباً للاختباء . وكالنعرة إلدغ جسد العدو الصحيح حتى تحيله إلى كومة من العضويات المنحلة الفاسدة .

أما ثالث مقومات حرب العصابات فهي المفاجأة ، أو قل المباغتة والمواربة معاً . والمباغتة ان تأخذ العدو على حين غرة فتؤثر في معنوياته . أما المواربة فهي ان تخدعه بشتى السبل كيما يخطىء في العمل وفي تقدير قوتك ومراكزك .

ان هدفنا كفدائيين : ان نحدّ من تواجُد العدو في المنطقة المحتلة ، وان نحصره ضمن دائرة واحدة إنْ أمكن . انه يتفوق علينا عدة وعدداً ، ولا يمكن سدّ تلك الفجوة إلا بعامل المفاجأة وحده (نضرب ونهرب) على أساس انزال أفدح الأضرار في جانبه بأقل خسائر ممكنة في جانبنا .

وأخيراً علينا ان نضيف إلى حاجات ومزايا العصابات والفدائيين المبادرة والتنسيق والطاعة . ان اولئك الذين لا يتحركون إلا إذا عبأت لهم مخزن البندقية أو شددت لهم خيوط الحركة ، فنحّهم جانباً ، لأن الفرد في مثل حال المقاومة هو سيد نفسه ومسّيرها . ولأن الفرص العديدة ستحول بينه وبين قائده ورفاقه ، او قد تقلده منصب القيادة في ظرف من الظروف .

ولهذا فان على كل آمر مجموعة ان يذكي البادرة الذاتية في نفوس مرؤوسيه . فقبل الشروع في تنفيذ اية عملية مهما كان نوعها ، عليه ان يجمعهم حوله موضحاً تفاصيلها دون لَبْس ، مشيراً إلى التكتيك المعين الذي سيُتّبع ، سائلاً عن اية اعتراضات او اقتراحات ، لان ذلك يلبي حاجة كل فرد الى الوضوح للتنفيذ ، والثقة المتبادلة للتعاون والتنسيق .

ان المسلك الفدائي على صغره نظام ديمقراطي ، وفعالية الديمقراطية على اي مستوى لا تخفى على احد . فإذا وافق الجميع على تفاصيل العملية او طرأت بعض الاعتراضات فالكلمة اذ ذاك للقائد ، وعلى الجميع اطاعة اوامره بحذافيرها ، لأن باب النقاش يظل مفتوحاً قبل وبعد تنفيذ المهمة . اما خلالها فالكل ينفذ التعليمات بأقصى ما يمكن

من دقة . وبسرعة برودة اعصاب ينفذ الفدائيون العملية ثم يقفلون عائدين .

هناك حاجتان لخلق الفدائي المثـــالي في كل زمان : المبادرة الذاتية والانضباط .

الفصل السادس

معاقل رجال المقاومة ومخابئهم

باحتلال العدو للارض ومحاولة ترسيخ وجوده فيها ثم التوسع والتمدد المتواصل ، تنطلق زمر فدائيينا ورجال عصاباتنا من قواعدها في الجبال والغابات وباقي المعاقل الحصينة وفي ايديها ما تيسّر من سلاح ، لتحوّل العلم الى عمل وتترجم كافة الدروس الى حذر وخفاء ومباغتة .

لكم سُئلتُ في سياق محاضراتي عن حجم الوحدة العاملة ، اقصاها وادناها ، ولم أعطِ جواباً . ذلك ان جواباً قاطعاً سريعاً متعذّر فعلاً ، فالأمر يعتمد اساساً على عدة عوامل منها القوة اللازمة للتغطية ، ونوع المهمة المراد تنفيذها ، وقوة الحامية العدوّة ... الخ . ففي المناطق المفتوحة كالمنخفضات والغابات والجبال مثلاً يمكن للفدائي العمل ضمن مجموعات يصل تعدادها كادرَ الكتيبة احياناً . اما في المناطق المزدحمة ، حيث يكثر السكان ، فالضرورة تحتم العمل ضمن زُمر بالغة الصغر ، تأخذ على عاتقها مهمات

محددة : كالتخريب ونسف الجسور والتجسس والترصد . ويمكن لوحدة من ثلاثة فدائيين الى خمسة القيام بها بكل كفاءة .

ان بعض المهمات يكفيها شخص واحد او اثنان ، وهناك مهمات تحتاج الى ثلاثة . وفي مجموعة من ثلاثة يتكفل رجل الوسط بالتنفيذ بينما يتولى رفيقاه حمايته عن الجانبين او مدّ يد المساعدة فيما لو طلب منهما ذلك ، كأن يثيرا جلبة مصطنعة تحوّل عنه انظار العدو حتى يعمل بحرّية اكثر .

اما المسافة المعقولة التي تفصل رجل الوسط عن جناحيه فتعتمد هي ايضاً على طبيعة الارض ونوع المهمة ، وطبعاً على قوة العدو وتصميم مراكز حراسته . ففي المهمات التي سرعان ما تلفت انظار العدو ، تقتضي السلامة توفير وحدة تغطية ، لحماية افراد التنفيذ تحت ستار من النيران للانسحاب ، تماماً كما صورها ارنست همنغواي في روايته (لمن تُقرع الأجراس) ووصف فيها عصابة من الجمهوريين وهي تنسف جسراً شمالي مدريد .

نأتي الآن الى معالجة مفصّلة على جانب كبير من الأهمية ، ويترتب على حسن اختيارها تسهيل امور عديدة أخرى . وأقصد بها معضلة القواعد ومعاقل الفدائيين ونقط تجمعاتهم . اننا لن نجزم ، كما اعتدنا دائماً ، لأن الاجابة فيما يختص بأمور زُمر الفدائيين ورجال المقاومة اجابة مرنة

وذات مطاطيّة خاصة تتوافق مع بناء التنظيم نفسه .

خذ اختيارها مثلاً . انه متعلق بعدد المقاتلين ، ثم بطبيعة الارض ومدى سيطرة العدو عليهـــا . فالمعاقل داخل الغابات والمخابىء فوق الجبال قواعد مضمونة نسبياً ، شرط تشديد الحراسة خوفـــاً من غارات مفاجئة . وعندك الكهوف ايضاً .. فهي ممتازة للتواري عن الانظار . وكذلك الفسحات الصغيرة داخل الغابات لإقامـــة المعسكرات ، بشرط ان تلزم حدودها ، خوفـاً من أعين الطائرات . ومثل ذلك اكواخ الرعــاة ومخــازن الغلال في المزارع ، والاستراحات النائية .

اما في المدن او القرى فالفدائي يمكنه العيش بأمان واطمئنان ، مــا دام يحافظ على مظهره البريء نهــاراً ثم ينقلب فدائياً محرراً تحت جنح الظلام . انه ينسلّ كغيره الى مكان اللقاء المعيَّن تمهيداً لتلقّي الارشادات اللازمة لتنفيذ عملية ما . هكذا يفعل الصينيّون تماماً . انهم زراع مسالمون في النهار وفدائيون اشداء في الليل .

وحياة جرب العصابات (وكذلك العمل الفــدائي) كغيرها من الحروب ، حيــاة خشنة لا تعرف الراحة ، حتى في داخل المعسكرات ومقرّات القيادات شبه الدائمة . فعلى المحــارب ان يعوّد نفسه شظف العيش وتحمُّلَ نفسية المطارَد ، والقدرة على الاختباء يوماً أو يومين او ثلاثة . إلا ان معظم المجموعات غالباً ما تفضّل عدم البقاء اكثر من

ليلة واحدة في المكان ذاتـــه ، حتى لو كانت بعيدة عن العدو. انها تمضي إلى استراحاتها فوق القمم العالية، او تبقى قريبة منه في المنازل المضمونة الولاء .

في ايام الاضطرابات الايرلندية ، تصاعد حرص المقاتلين الى حد تبديل امــاكن مبيتهم كل ليلة ، فاتّصفوا بذلك بالهاربين . وفعلا كانت عصاباتهم تنشر الخراب يميناً وشمالاً وهي على طريق الهرب المتواصل ذاك .

ان مهمتك منذ الآن ان تبحث عن أنسب المواقع والملاجىء والمخابىء . إنتقِها ثم تذكّر مواقعها جيداً دون ان تتردد عليها ثانية ، فمن يدري علّ عين أحدهم تقع عليك فيَشِي ، فيما بعدُ للعدو بالسر ، راضياً أو غافلاً أو متهوراً .

وفي اختيارك المنزل أو المركز الطبيعي عليك دائماً ان تذكر حاجة أساسية فيه : وهي مهربٌ منه ، لاستعماله في حال اكتشاف المخبأ ومهاجمته . فإن تمركزتَ في مكان اعملْ حالاً على حفر أكثر من جيب لإخفـــاء الذخيرة الزائدة والمعدات وغيرها . ابـدأ منذ اللحظة الأولى في تدبيرها ، وقبل نزول العدو عليك . وكما اوضحتُ في الفصل الرابع ، ضع فيها مختلف انـــواع الثياب الرسمية والمدنية والأسلحة الخفيفة التي لا يثير حملها أيـــة ريبة كالمسدس الصغير والدبابيس الطويلة والسكين وقضيب حديدي قصير ، ومطرقة ، وقطع نقـــود نحاسية ، وجراب صغير من الرمل ... انهـا كافية للقضاء بصمتٍ عـــلى رجال العدو باستثناء المسدس بالطبع ، لكن جهاز الفوهة الكاتم

للصوت سرعان ما يجعل منه سلاحاً مثالياً .

وعليك ان تزيد عــدد المخابىء ما استطعت ، فالحاجة إليها مستمرة ما دام القتال ناشباً ، إما لتخزين الفائض أو للتخلص من الحمل تمهيداً للقيـــام بمهات خفيفة وسريعة ، كالاستطلاع والتدمير . ويُستحسن توسيعها لتستوعب كل ما ترغب أنت في إخفائـــه . ومن الحكمة ان تتجنّب الأماكن الرطبة أو تلك التي ترشح فيهـــا المياه . وإذا لم يداهمك الوقت فالأفضل ان تعزل الصندوق عن جوانب الحفرة بشبكة من الأغصان أو القطع الخشبية . واحترس من ترك علامات بارزة تدل على مكان الحفرة ، لذا اغرسْ نبتة أو شجيرة ليبدو المكان طبيعياً . فان ظل مثيراً للشكوك ، فينبغي تمويهه تماماً أو التخـلّي عنه أصلاً . ولا تنسَ ان تزيل كل أثر حول الحفرة ، منها واليها ، قدر الامكان. وينصح بعض خبراء التضليل بالدلالة عـلى الحفرة بغرس غصن منزوع اللـّحاء في موقع قريب ولكنه غير مجاور ، وذلك ليتاح رؤيته في الظلام . ولك ان تحفر على الغصن خدوشاً يشير عددها إلى عدد الخطوات المؤدية الى الجيب المطمور . وهذه الفكرة ممتازة بشكل عام ، لولا ان في نزع قشرة الغصن ما يثير أقل الناس ارتياباً وملاحظة . والعدو بدوره عليم بتلك الخدع أيضاً ولا يحتاج من يجهل لغتك ان يعدّ الخدوش على الغصن العاري .

والواقع أني أنصح باتـّباع أعقد الطرق وأكثرها تضليلاً ،

كأن تُحفظ الصناديق المذكورة في فجوات طبيعية كالصخور والتعشّبات والاشجار .

ومن الواجب على الزمرة حراسة مقر القيادة جيداً وإحاطته بحزام من نقط الحراسة ، في كل نقطة حارسٌ أو أكثر . هذا ان كان عددكم وفيراً . ولتكن مراكز تلك النقط مناسبة من حيث الناحية الدفاعية والمراقبة ، على ان يجري الاتصال فيما بينها بالاشارة دون الحاجة الى التنقل. وفي هذه الحال يجب مراعاة عملية التبديل لئلا يسأم الحارس او يداهمه النعاس .

وعلى الحراس ان ينادوا الغرباء بصوت منخفض لكنه مسموع ، وألاّ يتسرعوا في الاشتباك معهم . لِيتمهّلوا حتى التيقّن من انهم اعداء ، وعندئذ يجري الانقضاض على اول القادمين بحربة البندقية او قضيب معدني مسّنن . ومن بعد ذلك يجري إعلام قائد الموقع بالأمر ، لان ذلك يستوجب اعلان حالة الطوارىء على الفور .

اما ضرورة التمويه فلا جدال حولها ، وبما ان مهمة الفدائي تحول دون حمله معدات التضليل المعروفة ، من علب دهان وغيرها ، فهو مضطر الى الاستعانة بما هو موجود بين يديه من أغصان وعروق ونباتات ورمال وصخور ، بمهارة فائقة ، كأنْ يبدِّل الأغصان حال تيبُّس أوراقها ويلطّخ الخرقة التي تسدّ باب الكهف لو عُلّقت بها الأعواد والفروع المتشعّبة .

والتمويه في الأصل معناه موافقة الحال ، ومنها بالطبع الألوان والظلال ، فلا تترك ظلال الأسلحة تفضح مكانها ، وإنما تنبَّهْ دائماً الى إمكانات استكشاف العدو لذلك من الجو . رتِّبْ غطاءك بحيث يعكس ظلالاً غير مستقيمة على الأرض تماماً كظلال الاشجار وسائر الأشياء البارزة الطبيعية .

أما آثار الاقدام فيجب ان تزيلها بشكل متواصل ، وإلا فعليك ان تخفي الآثار الى المعسكر ومنه . وقد يتوجّب عليك استحداث آثار مضلِّلة تقود العدو من مكانك لتنتهي به الى أرض صخرية أو حافة مجرى بعيد .

الفصل السابع

الحركة الفعلية : الاستطلاع

سواء أكانت معاقل الفدائيين ورجال المقاومة ومعسكراتهم آمنة ، نائية ، مريحة ، أم لم تكن ، فهي ليست دور نقاهة ينزل فيها المقاتل فلا يتحرك منها إلا بألف جهد جهيد . ان وظيفة المقاوم والفدائي هي الحركة والحركة فقط ، لأن القواعد ليست إلا همزات وصل بين سلسلة نشاطاته المتلاحقة . ويتعين هنا القول بأن العودة الى القاعدة التي تم الانطلاق منها ، بعد مهمة الاستطلاع أو غيرها ، عملٌ محظور لعدة أيام او أكثر ، وحسبما تقرر الظروف .

أما وأنت تتحرك ، فحافظ باستمرار على السرّية والهدوء ، فلا تُثِرْ جلبة تلفت اليك نظر العدو . درّب نفسك على الحذر الى حد جعْلِه طبيعة تلقائية : لا تبدِ حركة الا بعد تأمين الغطاء والحماية لها ، مسخّراً كافة العوامل الذاتية والخارجية لذلك . واستفِد دائماً من الظلال ولو اضطررت الى

الخروج عـن خط السير المقرّر ، لأن سبيلاً أطول وأسلم هو أفضل من سبيل قصير تحفّ بـه الأخطار . كذلك استغلّ أيضاً وجود التشجير والمنحدرات والتلال التي تفصلك عن العدو . وحاذرْ التحرك فوق القمم لئلا يفضحك الأفق بكل سهولة . لا تعـبُر هضبة بل دُر حولها في مستوى منخفض ، فإن اضطررت فاعبرها زاحفاً لا منتصباً .

وحين تلمح ، حقيقة أو حدساً ، أن عين العدو ترقبك من بعيد ، عليك ان تجمد للتوّ في مكانك ولا تبدي اية اشارة مهما كانت . فقد لا يكون العدو مرتاباً باديء ذي بدء ، فإن أسرعتَ طلباً للاختباء كشفت له نفسك مـن حيث لا تريد . وبعد ان يتحول عنك اخيراً — تحركْ الى اليمين او اليسار او الى الخلف ، فرفاقـــك المكلّفون بحمايتك سيسارعون بدروهم الى التوقّف حال ملاحظتهم توقفك المفاجىء .

والزم البطءَ وقت الانتقال . وسواء كنت تمشي أو تحبو حبـواً أو تزحف زحف الحيّة ، فلْتَكنْ حركتك بطيئة دون التفاف او انتفاض حـاد فالطبيعة من حولك في حركة إيقاعية دائمـة ، خصوصاً في البلاد التي لا تعرف سكون الرياح ، فإنْ آلفتَ بين اهتزازك واهتزاز البوارز الطبيعية فذلك هو غاية التمويه . أما للزحف على أربـع فينبغي التمدد كليّة على الأرض ،وعند ذاك لا تقوّسْ ظهرك . ولا تنسَ ان لباسك يجب ان يطابق طبيعة المنطقة من حيث

الألوان فيهـــا . فإذا كانت ملابسك مدنية فاختر منها الألوان المحايدة كالبنّي والرمادي الغامق ، واستبعد الأبيض والأزرق والرمادي الفاتح مــا أمكن . وكذلك تجنّب اللون الأسود في هــذه الحال . ان المعطف الداريء للمطر بلونه الكاكي الشائع يبقى لباساً مثالياً للتمويه ، على شرط ان تُنوّع معه ألوان القميص والسروال .

أما بصدد استفادتك من الظلال فالجأ دائماً إلى مـــا يستر مؤخرتك وتُلصق به ظهرك . فان كان الظل الذي تتوارى فيه جانبياً وأشعة الشمس آتيـــة من خلفك ، فوقوفك في هذا الحال مفضوح تماماً . إذن يجب تركه والركون سريعاً إلى ظلال قوائم مستطيلة كسورٍ عال ، لا الى ظلال اشياء بارزة مبتورة كعمود كهرباء أو شجرة نحيلة .

وفي مهمات الاستطلاع والتجسس ، إياك ومواجهة الشمس. وبخاصة حين تكون قريبة من الأرض ، فلو تعذر ذلك رُح لجهة أخرى أكثر تناسباً ومواربة .

والحقّ ان التقرير في التمويه ممكن ، ابتداءً من الأردية الخاصة إلى اتـّباع الحركة الضرورية أو قبّوع طائر التـُّدرُج الشبيه بالحجَل الذي يخفي وجوده ، رغم الوانه الزاهية ، بسكونه العجيب . كذلك تجنبْ رفع اليدين أو الرأس حتى لا تعكس بها النور ، واتـّبع نفس الارشادات في الليل ايضاً . أما الخوذة المعدنية (ان كنت تعتمر مثل هــذه الخوذة العسكريـــة) فينبغي تمويهها بتغطيتها

ببعض الريش أو أوراق تُشبّك في عيون شبكة خيوط خاصة تغطيها . فاذا تعسّر ذلك فانزعها واحملها باليد مخافة ان يصدر عن احتكاكها بأغصان الشجر المنخفضة ما يثير الانتباه .

واحمل في جيبك على الدوام قطعة من الفلّين المحروق ، ولن تُسأل هنا مستغرَباً لو حدث واصطنعت دور المغني ، أو الراقص الأسود ، أو عملت في الكِبَر سائق قطار أو طياراً أو حتى شرطياً عادياً ، فبالفلين تطلي جبهتك ووجهك وأذنيك وعنقك ويديك . ان تلك الخطوط الفحمية هي التي تطمس بريق بشرتك ، فإن لم يتوفر الفلين ، فاستعنْ بالتراب تمزجه بالماء من القِربة أو بعض النباتات المعينة التي تلون السائل باللون الأسود . وأترك ذقنك بلا حلاقة لعدة أيام وعند ذاك يغنيك الشّعر عن كافة الوسائل الاصطناعية الأخرى . وقد تفضّل أن تعقد منديلاً خاكياً تحت مستوى عينيك مباشرة ، لكن حاذر من حمل مناديل بيضاء مهما كان ولأي استعمال كان . ومن هذا نجد ان الاشارات الملونة التي كانت تزيّن وجوه الهنود الحمر ليست مجرد زينة كما يتوهم الكثيرون ويغفلون عن أهميتها الحربية .

وارتداء القفازات السوداء يغنيك عن صبغ اليدين بالفلين كما يرد عنهما خشونة الأرض وأشواك النباتات أيضاً . لكن حاجة الفدائي إلى الحركة السريعة والخفيفة تمانع

الأخذ بشتى وسائل التمويه دفعة واحدة . ان الفدائي إذن مدعو إلى الاستعانة أولاً بالطبيعة ، فيغطي كتفيه بالاغصان تغطية ناجحة شابكاً الأغصان المورقة في ثيابه من الامام ومن الوراء على السواء ، ملصقاً بعض اللحاء ، لأن القشرة السمراء تتناغم مع حدة الظلال في أية ساعة من النهار .

وانتبه إلى جعل ظاهر الاوراق العليا بائنة دائماً ، فباطن الأوراق كما هو معروف أقل اخضراراً من ظاهرها .

ولا تحمل أية اغراض تعكس الضوء ، فلو شاءت الظروف وكنت تلبس نظارات طبية ، فان عليك الانتباه الكثير وأخذ الحيطة بصورة مستمرة . أما عدسات المنظار المقرّب فيمكن الحد من بريقها بواسطة عازل شبيه بالشبكة .

اطلِ كل معدن باللون الأسود أو البني . ولا تجهد نفسك باتقان الطلاء ، لأن الاتقان يظهر الشيء أكثر ميلاً إلى البياض ، وهذا محظور . اما الاكثار من توزيع البقع على الثياب والسلاح ، فيضمن لك تمويهاً ممتازاً لا يضاهيه تمويه آخر .

باشر منذ الآن في التمارين : رح مثلاً إلى الغابة وموّه نفسك بكل ما تطاله يدك ثم أظهَر في نقاط متفق عليها ، على أن يسجل رفاقك ساعة ظهورك ، هذا ان تمّ ولاحظوك .

واذا كنت بجانب شجرة فقف دائماً ملتصق الساقين ، ان انفراجهما يفضحك في الحال . وفي الخطو ثبّت باطن قدمك



الحبو الجانبي



بعد رمي القنبلة ، غطِ مؤخرة الرقبة
بكفيك وانتظر هكذا حتى الانفجار

تماماً على الأرض ، فلا تبدأ باصابعك أو بالكعب بل بهما معاً . كذلك لا تثِبْ وثباً على رؤوس قدميك بل تنزلق بهما متجنباً قدر المستطاع وطء الأغصان الجافة أو الحصى الناعم . فان لم يكن ثمة مخرج ، فانتظرْ هبوب النسمة أو عصف الرويح وأسرع في انتهـاز المزوفة الطبيعية كي تضيع بضوضائك وسطها . وان اعترضتك ثمـة أغصان وطيئة أو فروع متشابكة ، فانتبه ألاّ تشق طريقك شقاً ارعن ، بل اجمع الأغصان إلى فوق أو نحّها جانبـاً ثم اخفض هامتك وتقدم .

وخلف التصوينات المنخفضة ، حيث لا ينجح الانحناء ، ينبغي عليك الحبو على الركبتـين وان كنتُ لا أنصح به ، لأنه ذو أخطار ومساوىء ، مفضلاً الدوران مشياً ان كان ذلك مستطاعاً .

والحبو على صورتين لكل منهما ظروفها الخاصة : الحبو على اربع كالهررة ، ويلائم الأرض المغطاة بالأوراق والعيدان الجافة الخشخاشة ، وتلحق فيه ركبتك اليمنى بموضع كفك اليمنى دائماً . وبهذا تقلل كثيراً من استحداث الصوت ، فان كنت تنقل بندقية فتضطر ساعتئذ إلى انزالها امامك على الأرض قبل القيام بحبوة أخرى .

اما الحبو الجانبي فافضلها ، فيه تتمدد على جانبك الايسر ، ثانياً رجلك اليسرى ، وجاعلاً اليمنى فوقها ، على أن تكون الركبة ملاصقة لسطح الأرض . ثم ابدأ

بتحريك ساقك اليمنى الممدودة كضاغطة تدفعك إلى الأمام دون أن تفك ثنية اليسرى ، مستعيناً بيدك اليسرى الممتدة أمامك كداعم . أما اليد اليمنى فتمسك بها مقبض البندقية المرتكزة بعقبها بين فخذيك . ويتاح لك وأنت على هذا الوضع قذف قنبلة يدوية بأن ترفع هامتك قليلاً ثم تتراجع إلى الوراء بواسطة اليد الممدودة ، مرتكزاً على ركبتك اليسرى — حتى تدور عليها قاذفاً القنبلة بكل زخم .

وهناك أيضاً زحف البطن أو كما يعرفه العسكريون عادة بسعي الثعابين ، ويلزمه حركة انكماش وانقباض متعاقبتين دون ان تشوبها أية انتفاضات غير متزنة . هذا ولا أظنني أستطيع مزيداً من التفسير لأن العملية تحتاج إلى التطبيق العملي والتمرين .

إحرصْ على جعل الشمس خلفك صباحاً وعند المغيب فذلك يؤمن مضايقتها للعدو ، وهو ينظر ناحيتك . وتذكّر جيداً أن أطول الظلال الفاضحة هي الظلال ساعة الشروق والغروب . كذلك تعلّم كيف تتحرك مع الريح متوقفاً حين يسكن مكملاً حين يهب ، على ان يكون اتجاهه من العدو وإليك ، مخافة أن تنقل إليه الرياح الأصوات والروائح المختلفة من أطعمة أو وقود .

وانتبه إلى تصرف الحيوانات في المراعي ، فان جفلتْ فاعثر على الجهة التي أثارتها ، وإلى أي اتجاه سلكت . فالخراف والأبقار والخيول غالباً ما تتطلع إلى الجهة التي

أفزعتها . كذلك الحيوانات البرية والطيور ، فلربما جفل ارنب وانعطف لتوّه عنك ، عندئذ يكشف مكانك للعدو بأهون السبل ، أو إذا انطلق رف من الطيور الفزعة من على شجرة قريبة ، فتلك إشارة تحذير تؤكد نشاطاً معيناً لا ينبغي إغفاله .

وفي الاستطلاع الليلي تتعاظم الضرورة للثبات الكلي واليقظة ، لأن حاسة السمع عند العدو تقوى في الليل عما كانت عليه في النهار . فلو شككتَ في ليلة مقمرة انك مراقب في أرض مكشوفة ، وحتى لو انيرت المنطقة بقذائف اشارة ... اثبتْ مكانك ولا تتحرك حتى يخمد الضوء ، وعندئذ انبطح بسرعة واقبع مكانك دون حسّ .

امشِ في الليل كما تمشي في النهار ، ثابت الخطى لكن بتمهل وحذر أشد . وانتبه في الأرض التي تكثر فيها الحفر والنواتىء : جسّ الموضع بقدمك قبل أن تنزل بثقلك عليه . كذلك أبقِ ذراعاً ممدودة أمامك لتنبّهك إلى أية عوائق في الطريق ، جدار أو سور أم أغصان . واصخْ السمع إلى أزيز الصراصير الذي ينقطع حال اقترابك من امكنتها . كذلك العواء المفاجىء ، فالكلاب نادراً ما تنبح دون سبب خارجي . ولو قدّر – رغم اخذ كل هذه الاحتياطات – أن احدثتَ مع الرفاق ضجة غير اعتيادية فلا تسرع بالتراجع بل توقف واسعَ إلى اقرب نقطة احتماء . فإن تمادى العدو في ملاحقتك تراجعْ عندئذ حبواً ،

وبثبات ، الى الوراء ، او الى الجهتين يميناً ويساراً ان كان في مقدورك الالتحام معه أو جرّه الى كمين معدّ .

تأكدْ من صمت كافّة القطع المعدنية التي تحملها ، إما بلّف المعدن باللصاق أو دهنه بالشحم أو إحاطته بالخرق القماشية . وخاطب رفاقك بالاشارة وتجنَّب الكلام او الهمس ، فإنْ همست لزميلك فاحذر تصادُم خوذتيكما معاً واحداث قرقعة فاضحة .

***

يكفي لدورية مطاردة عادية ثلاثة او اربعة انفار فقط ، وأحياناً اثنان ، على ان تكون المسافة الفاصلة بين المقاتل والآخر متوسطة ، لا هي بالقصيرة فتعرقل سير الاثنين معاً ، ولا هي بالبعيدة حتى تضيع معها سُبل الاتصال بينهما .

وفي التحضير لمهمة ما ، من الضروري اختيار خطوط الاقتراب وطرق الذهاب والإياب بعناية وحـذر ، لأن ارتباطها بالعوامل الجغرافية والعوامل الحربية ليس مجال تساؤل بعد الذي قلناه حتى الآن . فكلما طال الطريق وتشعّب ، ضمن لكم ذلك السلامة والخفاء . ان المناطق التي تستأثر باهتمام العدو عادة ، وحراسته ايضاً ، هي الطرق الرئيسية ... هذا ان كانت معرفته بالمنطقة بعد جديدة بعدُ ، ومع ذلك فإنه يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار كافة الاحتمالات وأبعدها .

أَشِرْ لباقي الوحدات أو أية قوات حليفة عاملة في

المنطقـــة ، الى الطرق التي ستسلكها أنت ومجموعتك في الهجوم وعنـد التراجع ، وعيّـن لها على وجه التقريب ميعاد التنفيذ ، على ان تغير طرقاتك باستمرار حتى لو ظل اتخاذها خافياً على العدو .

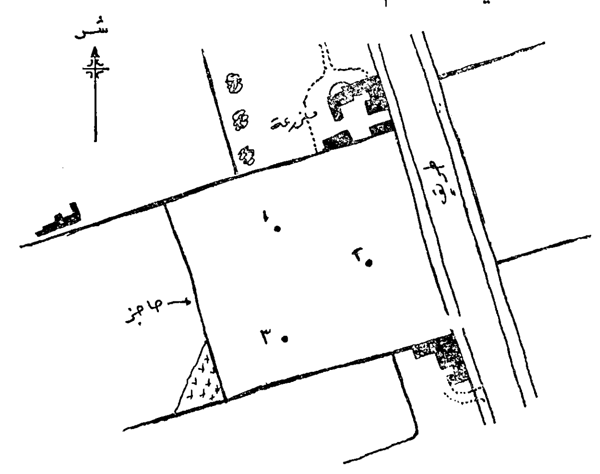
وينصح بعض محترفي الاستطلاع باتباع طريقة الوصلات أو المراحل . وهي مؤاتية للوحدات ذات العدد الكبير . وفيها يجري تقسيم المجموعـــة الى فريقين ، يتولى القائـد التقدم مع الفريق الأول ليمهـــد به الطريق . ثم ينتظر لحاق الفريق الثاني به عند نقطة متفق عليها بالتقريب ، فيسلمه التعليمات والارشادات اللازمة . وبعد ذلك ينطلق بفريقه ثانية ، وهكذا دواليك .

وتظهر حسنات هذه الطريقة جلية فيما لو كانت المعرفة الشاملة بالمنطقة محدودة جداً ، غير انه لا يمكن اعتمادها دائماً ، وخصوصاً في الليالي الحالكة الظلام .

أما طريقتي الخاصة المفضلة فتعرف باستطلاع « فيليبوستر » القائمة على أساس ثلاثي . وفيها يتم تشكيل المثلث مـن ثلاثة رجال ، لا يتماشون ولا يتحاذَون ولا يفقدون الرابطة بالرؤية . وتقرر طبيعة الأرض متوسط اطوال أضلاع هذا المثلث البشري — فهي تزداد كلما انبسطت وتمهدت أرض العمليات . وتختلف هذه الطريقة عن طريقة المراحل الاولى التي تستلزم المواعيد والالتقـاء والمشاورة بالهمس ، فالمثلث يظل مترابطاً بغضّ النظر عن حركة كل واحد من



كيف تهاجم الحارس من الخلف بالمدية



استطلاع (فيليبوستر)

- في التقدم نحو الشمال : ٢ و ٣ يحميان ١ .
- في التقدم نحو الجنوب : ١ و ٢ يحميان ٣ .
- في التقدم نحو الشرق : ١ و ٣ يحميان ٢ .

رؤوسه الثلاثـة . ويتقدم الرقم ١ رفيقيه كاشفاً الطريق الى الامام وعن الجانبين ، في حين يتولى الرقم ٢ الذي يلحق به ، حراسة زميله من الخلف وعن اليمين . اما الرقم ٣ فيحمي مؤخرة زميليه من اي هجوم جانبي بتحذيرهم بالاشارة . والتخاطب هنا بمبادلة الحركات أمرٌ من صلب العملية ذاتهـا ، لتدعيم المثلث البشري وسد كل ثغرة تنشأ في ضلع من أضلاعه . وهكذا ، في مقدور التشكيل ان يتحرك في أي اتجاه ، ويتحول من اتجاه الى اتجاه باسرع من لمح البصر دون ان تتأثر بنية التشكيل او يطرأ عليها اي تغيير اساسي .

فإذا تقدم العدو في الفجوة بين الرقم ١ والرقم ٢ تولى هذان معاً صدّه فاستحَين المجال أمام الرقم ٣ للفرار بالمعلومات أو القيام بعملية التفاف . وان دخل بين الرقم ٢ والرقم ٣ فالرد المتَّبع هو ذاتـه في الحالة الأولى . لكنه بدخوله الفجوة بين الرقم ١ والرقم ٣ ، يفوّت على المثلث فرصة المناورة فيستدعي ذلك الهروبَ المنظم والتراجع بـلا اشتباك ان امكن .

ومبادلة المهمات بين رؤوس المثلث تقتضي مساواة في القدرات والكفاءة ، لأن تحويل اتجاه المثلث يبدل تبديلاً طفيفاً من نوع واجبات كل رأس ومواصفاته .

وتفوق الحاجةُ إلى الرجال في دورية قتال حاجةَ دورية الاستطلاع والرصد لهم . لذلك يجري تقوية بناء المثلث

برجلين آخرين ، ينفرج بهما إلى مربع قِتال : واحد في الطليعة ، ثم جناحان ، والرابع في المؤخرة . أما الخامس ، ويكون هو قائد المجموعة عادة ، فلا يتقدم أياً من رجاله بل يأخذ مكانه فيما بين الطليعة والجناح .

انبطحْ دائماً عند مراقبتك للعدو وانظر اليه من خلف الاغصان أو شروخ الصخور ، ولا تمـد الرأس أو تُبرزه ولو كان العائق جداراً . خذ غصناً قريباً وارفعه بتمهل ثم انظر متخفياً به ، أو التجيء إلى شجرة مجاورة ولا تدع عينك تغفل عـــن تحركات العدو . امسحْ ببصرك كافة الاتجاهات وعاين كافة الظلال بروية . فالمنطقة المرصودة يمكن تقسيمها عملياً الى مساحات محدودة يجري مسحها بصورة متّـصلة ومنظمة .

وحال كشف العدو ، يرسل الكشافون اشارة الى الآمر المختص ، يذكرون فيها النقطة الموجود فيها ، وطبيعة النشاط الذي يقوم به ، واتجاه الحركة بالنسبة لثوابت البوصلة ان كان متحركـــاً .... فضلا عن باقي التفاصيل الضرورية ، كمقدار قواته ونوعية اسلحته وغيرها .

دون هذه المعلومات لا يمكن للقـــائد ان يدرس الوضع سريعاً ويتخذ القرار المناسب ، إما تراجعـــاً ، أو تمركزاً بانتظار دعم ، أو حتى تسخير مجموعة الاستطلاع للعمل كطُـعم في سبيل شن غارة على العدو أو استدراجه لكمين .

من هذه الزاوية تبـين لنا اهمية وضع التقارير الصحيحة

وارسالها على وجه السرعة ، لذا عليك أن تجعل كتابتك واضحة الكلمات بارزة الأسماء ، وأن تعتمد في التوقيت نظام الـ ٢٤ ساعة حتى يفطن المسؤول الى ورود كافة الرسائل غير منقوصة .

وبعـــد كتابة التقرير الوافي بالرد على جميع الأسئلة : مـن ، كم ، اين ، متى ، الى اين ، الاسلحـــة ، القـــوى الخ – ضع خطاً وأبدِ تحته رأيك باختصار ، ذاكراً المسلك المناسب للتصرف ، على ان لا تخلط بـــين الظنون والحقائق الموضوعية من قريب أو بعيد .

واذا كانت المعلومات على جانب كبير من الأهمية ، فينبغي ارسال نسختين: كل واحدة عن طريق مغاير للآخر. وفي حال البرقيات الشفهية اجعلْ الرسول يرددها عـــلى مسامعك كاملة واضحة ، ولا تطلقه حتى يتقنها تماماً .

اما كيف تبدأ التمرينات على وضع التقارير فهذا هو: إجمع رجالك الى مفرزة تأتي عمـــلاً معيناً ، ثم اطلب منهم تدوين ما شاهدوه دون اغفال اية حادثة مهما كانت صغيرة. وبالطبع المكان والزمان وباقي ديباجةالتقاريرالضرورية.

***

في حال سماعك وطء أقدام على الأرض ، اغرز السكين فوراً في التربة واجعل اذنك عليها . اذ ذاك تلتقط الأصوات بصورة اكثر وضوحاً .

ولا بد من كلمة هنا ، فأنا لم اتوسع في سياق الاشارة

الى الاستكشاف والتجسس وضروب التمويه كما يتبادر الى ذهن القارىء هناك . مجلدات ضخمة تبحث في جانب أو آخر هذه النشاطات العملية ، وتشغَل حيزاً لا بأس به من المكتبة العسكرية . فعلى المقاوِم والفدائي ان يطالع ما استطاع ويتمرن على التفاصيل المختلفة متى اتيح له التمرين . ان تبادل المخاطبة مثلاً يتم على الف صورة وصورة ، فمن الكشافين من يستعمل المشعل الكهربائي (وهذا ما لا أنصح به) ومنهم من يستعمل اليدين المجردتين او البندقية .

* * *

وهذه نصيحة اخيرة ذات اهمية خاصة لدى الفدائي ، وأعني بها صحته وراحته الجسدية : استرحْ ما وجدت متسعاً للاستراحة ، وخارج اوقات المهمات طبعاً لئلا ينقلب السحر عليك . ومن المهم ان تستعيض عن طاقتك المهدورة بطاقة متجددة ، لذا ابحثْ عن مكان آمن للمبيت قبل هبوط الظلام . وليكن ذلك في المرتفعات ، وبعيداً عن الطرقات والاخاديد والاودية فهي مرتع للدوريات الليلية اكثر من غيرها .

استرحْ كثيراً وكل كثيراً ، ساعة إثر ساعة مثلاً ومتى توفر لك الطعام ، فمن يدري متى يحين ميعاد وجبتك التالية ! انك قد تجوع اياماً طوالاً ، ويتوجب عندها تقليل اللقيمات والاكثار من الغفوات . لكن دونك والابتلاع ان كنت جائعاً تماماً .

وهذه نصيحة ثانية :

تسلّلْ الى مناطق العدو في الليل ومن ثم اكمنْ في مخبأ ترقب منه ما يجري طوال اليوم التـــالي . عد ثانية الى اصحابك تحت جنح الظلام وأخبر القائد بكل مـــا رأيته مهما صغر شأنه ، وإياك ان تبدل المخبأ ، في النهار مخـــافة الاكتشاف .. فاقنع متبعاً القول المـــأثور : رغيف جيد خير من معجن خبزٍ محترق .

الفصل الثامن

الحركة الفعلية : الكمين

نحن نطّلع على الصورة تلو الصورة عن عظمة الفدائيين والأنصار الروس وبطولتهم ، لا يدع هــذا مجالاً للشك في امكانية نجاح تنظيمات على غرار العصابات ، ولا في ان في مقدورها ان تحرز انتصارات حـاسمة ضد عدو عاتٍ من طراز النازي . وفي رسالة وجهها المارشال ستالين عن طريق الراديو لشعبه المقاتل ، لخص لهم مهماتهم بهذه الكلمات :

« في الارض التي يحتلها العدو ، يتوجب تشكيل زمر الانصار وتنظيم سائر المبادرات الفردية وتوحيدها . وذلك لنشر الرعب بين قواته وافنائهـا ، ولنسف كل الجسور الصالحـة ، وتخريب الطرق ، وقطع اسلاك التليفونات العسكرية ، وحرق الغابات والمخازن وكل آلية قابلة للحركة .

ان ارضنا التي يحتلها العدو ، يجب ان تُحـال في وجهه جحيمـاً لا يطـاق . زيدوا من عزم قبضاتكم

الفولاذية ايها الابطال ، أثخنوا العدو بالجراح ،وأدركوه بالموت مع كل خطوة يخطوها . »

ما أمسّ الحاجة الى استيعاب هذه الكلمات !

انها المواصفات الجوهرية لحرب الانصار والعمل الفدائي . وحتى الحرس الوطني بنظام دفاعه المرن قابلٌ للأخذ بها وتنفيذها بفعالية بالغة . المهمة اذن هي مضايقة العدو مضايقة تفوق كل احتمال .. حتى يضطر معها الى التقلّص التجمع والانسحاب الى مناطق اكثر حمايةً وأمناً ؛ وبالتالي الى تخصيص المزيد من الرجال والعتاد لذلك . وبهذا الشكل يبذّر العدو قدْراً من الجهد ويخسر الكثير من قواه البشرية الحيوية .

***

على رأس هذه الضغوط المؤثرة يأتي الكمين . وهو على أشكال ومجالات متباينة ، تتراوح بين الايقاع براكب دراجة نارية ، ويلزم لذلك وحدة صغيرة تتألف من مقاتلين اثنين فقط ، وبين الايقاع برتلٍ طويل من السيارات أو الدبابات ، ويتطلب ذلك قوة أعظم وسلاحاً أثقل . والمهم أن تأخذ دائماً بعين الاعتبار ، ولأية عملية مهما كان مستواها ، ثلاثة متطلبات :

١ – تغطية كافية ، لأن عصب الكمين هو المباغتة .

٢ – خطة انسحاب تامة تتوفر لها كافة عناصر التنفيذ.

٣ – مكان لإعادة التجمع ، ان لم يكن ثمة قاعدة أو معقل معين .

ومن الأهمية بمكان تعطيل وسائل اتصال للعدو البرية والهوائية في أول فرصة . فهي بمثابة جهازه العصبي . أليست تلعب لصالحه دوراً بارزاً في موجة الغزو الأولى على الخصوص ؟. والثابت ان النازي لن يتمكن من استعمال كلتا الوسيلتين ، إما لتدميره إياها من الجو أو تدميرنا نحن لها قبل توافُد قواته . فإن ظل بعضها صالحاً للعمل تولّت مجموعات من رجالنا مهمة الإجهاز عليها ، وذلك بعد الاستفادة من الخطوط بالتقاط اشارات العدو والتجسس على مخابراته ..

وإلى جانب وسائل الاتصال هناك شبكات الطاقة الكهربائية ، فإما ان نقطع خطوط التوتر العالي أو ندمّر الأعمدة الفولاذية الرئيسية . لكن تجارب النازي المتلاحقة في اوروبا تشير إلى نجاحه في الاكتفاء بالاعتماد على أجهزة مبتكرة تعمل بالموجات القصيرة جداً . وقد أثبتت كفاءتها خلال الهجمات الصاعقة ، ثم تقلّص استعماله لها في العمليات العادية بعد ذلك .

على أن اعتماده على راكبي الدراجات النارية يبقى اعتماداً مميّزاً ويفوق الحصر . ونصيحتي للمقاتلين إن خُيّروا بين إيقاف دراجة أو سيارة خاصة أو دبابة ، أن يختاروا الدراجة أو السيارة ، فقد يكون في جعبة الراكب أكثر من عشرين دبابة ، أو قافلة غنية من اللوريات . لا تندهش

فالسيارة الخاصة باستثناء سائقها نادراً ما تُقلّ أفراداً دون رتب الضباط . وقد يحالفك الحظ يوماً فتلتقط بندقيتك عن الطريق جنرالاً منكود الحظ .

لنفترضْ الآن أن مجموعة صغيرة كُلّفت الايقاع برسول يركب دراجة نارية أو القضاء على أكثر من واحد . ان أنجع وسيلة لايقافه هي مد سلك معدني يعترض الطريق . فحالما يراه فرد من أفراد المجموعة عن بعد ميل – يطوّح بطرف السلك إلى رفيقه على الجانب الآخر من الطريق (ويربط طرف السلك بحجر لتسهيل قذفه). فيعقد الاثنان طرفي السلك على ارتفاع متر واحد لشجرتين أو عمودين في مستوى الطريق ، على أن لا يكونا متقابلين ، فالمفروض أن تجعله مائلاً على محور الطريق بزاوية ٣٠ درجة تقريباً . والداعي لذلك ان راكب الدراجة سينزلق عليه بعد الاصطدام ويستقر في الخندق الجانبي ، من أي اتجاه جاء . وكذلك الحاجة إلى ابقاء الطريق سالكة مخافة أن يرى سائقٌ آخر حطام الدراجة على قارعة الدرب فيحجم من بعيد ويعود أدراجه .

وحالَ انكفاء الراكب على وجهه ، أَسرعْ لمصادرة سلاحه أولاً . وقد يخرج مصاباً أو سليماً . عندئذ اقتَدْهُ أسيراً . نعم ان وضع الفدائي قد لا يسمح دائماً بذلك ، لكن ، لعل قائد المجموعة في حاجة إلى بعض المعلومات فيستنطقه . هذا كما ان العدو حين يريد المبالغة في الحرص

يلجأ إلى تزويـد رسله بتقارير كاذبة أو برسائل شفوية تحمل في سياقها مصائر الألوف من المواطنين أو العسكريين على السواء .

وفي حالٍ لا تسمح لك بأسر الرسول ، ينبغي استجوابه سريعاً ، ثم القضاء عليه بأخفت ضجة ممكنة . بعدهـا تعايَن الدراجة فإن لم تتعطل ، تُخرّبْ ، حتى لا تعـود صالحة للحركة . انها بنظري أسوأ الماكنات اللافتة للنظر ، وينبغي على الفدائيين عدم استعمالها إلى حـين توسعهم في في الأراضي والمهمات .

***

عندما تنقلب وحدات الحرس الوطني أو فصائل الجنود النظاميين إلى وحدات مقاتـلة كالعصابات ، يتوجب على أفرادها نزع كافة الشارات والـبِزّات الرسمية ، لأنها تصبح غير ذات فائدة إلا للعدو بالطبع . ان صِغَر العدد في التشكيلة المقاوِمـة الواحدة يسهّل على أفرادها معرفة القائد وتسلسل الآمرين بالمعرفة الشخصية دون الحاجة إلى علامات خاصة .

واحذر وانت تتقدم من الجثث لمعاينتها بعد الاشتباك . تأكدْ أولاً أنهم أموات فعلاً ولا يتظاهرون بالموت كذباً . فلي صديق عزيز يعيش اليوم أبتر ، لأن جثةً قد هاجمته ذات يوم . لهذا ، عليك إن أردت تفتيش الجثث ، أن تدع رفيقاً يراقبها ، اثناء ما تتولى انت نزع كامل الثياب وجمعها ليجري تفتيشها ثانية بدقة أكثر . ثم عاين الجثث شبراً شبراً ،

وعضواً عضواً ، باحثاً في الأذنين ، والأنف ، والفم ، متفحصاً الوشم أو أية كتابات ظاهرة ، ممشّطاً الشعر ومنقباً بين الأصابع . ان ضابط العدو يعلم أن طرق رسله غير مأمونة فكثيراً ما يلجأ إلى خدع وأضاليل تشهد له . كل ذلك ، على ان تتذكر باستمرار أخذ الحيطة والتنبه من الرسل الذين يقعون بسهولة وبأقل قدر من المتاعب ، إذ غالباً ما تكون الرسائل الكاذبة كالطعم الشهي الذي يجذبنا إلى شرك مؤامرة شيطانية .

وهناك كلمة ضرورية عن ملابس الفدائيين التي تتنوع وفاقاً للجو والفصول والمكان . انك قد لا تتقيد بزي معين في الريف مثلاً ، أما في المدينة فأنت مدعوّ إلى مراعاة الحيطة بمماشاة الأهلين في لباسهم . وهناك من يلجأ إلى استعمال لباس العدو – وقد لا تروق للبعض فكرة التخفي بلباس الأعداء – أما أنا فأقولها بملء فمي : ان هذه الحرب لم تعد حرب فرسان شريفة ، فقد جردها الغزاة من كل مقومات الانسانية . لقد أنزل النازي قواته في النروج وهولاندا وغيرهما بلباس جنود تلك البلدان ، بل كان بعضهم متنكراً في أردية النسوة والقساوسة . ولقد نُهبت مخازن جيشنا بما فيها من بزّات رسمية بعد سقوط المواقع التي كانت فيها ، ومن الغباوة استبعاد استعمال رجال العدو لما نهبوه . فأين موقع الضرر اذن لو بادلناهم الخدعة ورددنا عليهم بنفس السلاح ؟

ولاستدراك الوقيعة ، وخشية الاشتباه ، في تلك الحال ، راقِب المتنكرين بالألبسة الرسمية ، وأنصت جيداً لمخارج الكلمات ولهجاتهم ، ثم استفرد منهم اثنين أو أكثر ، وخاطبهم باللهجة المحلية ، فالذي يتقن لغتنا تماماً ليس كمن يحاكي اللهجة المحلية .

لا تتوانَ في طلب المعونة من أصدقائك الذين عملوا وعاشوا في بلد العدو ، فذلك يسهل عليك التفريق بين الحقيقي والمزيف .

* * *

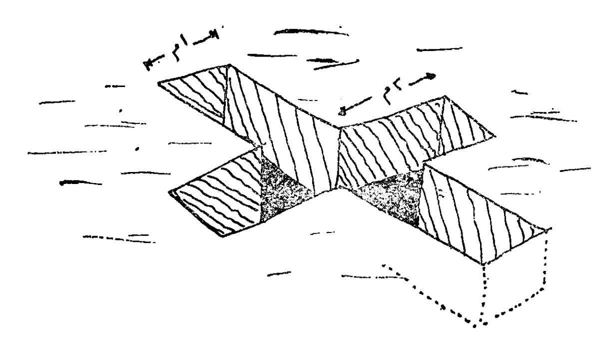
لقد سبق أن قلتُ ان الأنفار من العسكريين لا يستقلون عربات خصوصية ، عسكرية كانت أم مدنية . اما الضباط ذوو الرتب العالية فهم مضطرون إلى التنقل بوسائل خاصة ، لذلك يصادر العدو بعد احتلاله كافة العربات الصالحة ويشغّل بعض المواطنين سائقين عنده بالاكراه . هكذا سخّر البلجيكيات من قبل . فإن صدف ان كنتَ كامناً في خندق على جانب الطريق وجاءتك سيارة بصيدٍ ثمين فلا تتورع عن تلقيمها قنبلة يدوية ، حتى ولو أدركت أن سائقها إنما هو صديق عزيز ووطني صادق . أما لو كان السائق متعاوناً مع العدو فعلاً فإن الحاقه بالأعداء إلى الجحيم هو واجبك ساعتذاك .

والأفضل في معالجتك للسيارات بصورة عامة ، أن تستوقفها وتقضي على ركابها ثم تدمرها . أما إذا لم يتوفر

السلاح اللازم لذلك ، فينبغي العبث بها على الأقل وجعلها غير صالحة للحركة . أما اطلاق النار عليها فأمر غير ذي نفع ، لأن الرصاصة التي تخترق الواجهة الزجاجية في ثقب ضيق لا تضمن لك جندلة السائق دائماً . انك في حاجة إلى قذيفة من نوع خاص تهشم لك الزجاج تهشيماً كلياً يشوّش الرؤية عند الراكبين ويُفقدهم توازنهم ، ولحظتذاك تنتهز بدورك الفرصة قبل أن يستفيق أحدهم من هول الصدمة .

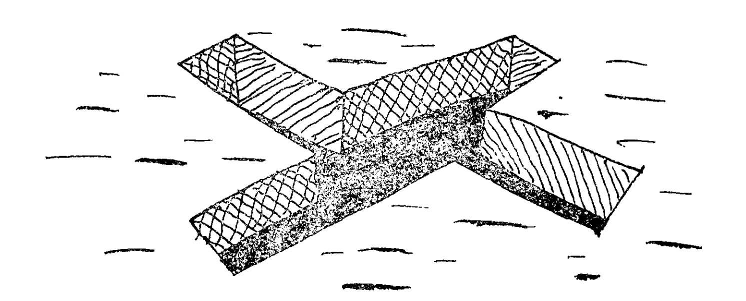
ويكفي سلكٌ فولاذي قطره ٢ مللم لايقاف سيارة أو شاحنة إذا ما مُد بارتخاء خفيف وبشكل موارب . لكن المصيدة المثالية للايقاع بماكنة ، كبيرة كانت أو صغيرة ، انما هو طريق تحف به الأشجار من الجانبين : إخترْ شجرتين متقابلتين ثم انزع اللحاء من نصفهما الموارب للطريق على ارتفاع يقرب من المتر . وأعمل المنشار في الجذع تاركاً منه جزءاً ضئيلاً بلا قطع . ثم سمّرْ القشرة في موضعها حتى لا يفطن أحدهم إلى اللعبة . بعد ذلك اربط رأسي الشجرتين بحبل ذي بكرة مساعدة ، بحيث انك ما أن تجذبه بقليل من العزم حتى تهويا معاً فوق السيارة أو تقطعا عليها الطريق .

واليك وسيلة أخرى أبسط ودونما حاجة إلى بكرة مساعدة : اقطع شجرتين متباعدتين على جانب واحد من الطريق لتحصرا السيارة بينهما وتمنعا عنها المساعدة من سيارة قادمة .

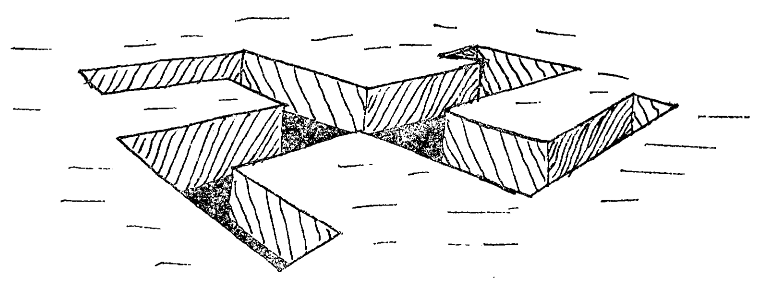


العمق الاقصى ٦٠ سنتم

– **خندق مضاد للدبابات – لرجل واحد:** – استعمل في الحرب الأهلية الاسبانية . – انفجار قنبلة في المركز يغطي الأذرع الأربعة .



– **خندق معدّل :** – تحوير الأذرع يؤمن حماية اكبر .



– **خندق معدّل :** – يتيح للكامن تغطية كاملة . – يضلل العدو من الجو لأنه على نسق شاراته (الصليب المعكوف مثلاً) .

اما للايقاع بدبابة فاختر أضيق النقاط على الطريق ، بحيث يتوفر في الموقع جدران طبيعية عازلة ، كأن تكون الدرب وسط غابة كثيفة ، أو حيث تقوم على جانبيها المنازل المتلاصقة أو مجاري المياه أو المنحدرات الشديدة .

وعليك أن تتذكر أن المصفحة لا تكتفي بشجرة أو اثنتين ، فيلزم لشلّها ان تقطع من ست شجرات إلى عشر ، وان لا يقـــل الفاصل بـين الواحدة والأخرى عن المترين .

وإليك هذا التحذير : إياك ومعاودة الكمين في البقعة ذاتها أو التلكؤ في مكانك بعد اصطياد دراجة أو شاحنة . ليكن شعارك دائمـــاً (كمين وقضاء سريع ثم كمين أبعد وقضاء أسرع) .

ولا حاجة إلى القول بأن الوسط الأنسب لنصب الكمائن هو الليل ، فتحت جنح الظلام فقط يتاح التنفيذ لمثل هذه العمليات ، كما يتم تنفيذها على الوجه الأكمل .

وحين تخلو الطرقات من الأشجار أو الأعمدة وما شابهها هناك أكثر من خدعة لايقاف سيارة يسهّل عليك تلقيمها قذيفة دسمة . ان العدو ، والعدو الطارىء حديثاً بشكل خاص ، غالباً ما تنتابه الشكوك وهياج الأعصاب بصورة متأزمة . فتكفيه « خدّافة » من « خدّافات » الأطفال البلاستيكية توضع في وسط الطريق حتى تستدعي في ذهنه خطر الانفجار وفظاعة التطاير . بل ان حجراً فوق حفرة

صغيرة مصطنعة يقذف في روعه التأكد من وجود الغام ، فيتوقف ليرى ، وعندئذ تنتهز أنت هذه الفرصة .

ويتوجب قبل استكمال هذا الفصل الاشارة إلى أن جميع هذه الخدع أو التكتيكات والمناورات ليست مقدسة ولا هي غير قابلة للنقض أو التعديل . على العكس من ذلك انها مجرد أمثلة من مئات الأمثلة ، وهي غير ذات نفع إذا اكتفينا بقراءتها ولم نتخذها كنقطة انطلاق أو مفتاح أولي لاستنباط وسائل وتكتيكات خاصة ، تطورها التجربة ، بل حتى التمرن والممارسة قبل التجربة الفعلية .

واليك هذه الوسيلة المبتكرة للتخريب . انها وسيلة يلزمها مصباحا سيارة عتيقان وبطارية جافة لإضاءتها . اجعل المصباحين وسط الطريق بحيث يوجهان ضوءهما الساطع باتجاه قوة الشاحنة نحو عيني السائق مباشرة . اكمن على جانب بعيد من الطريق وفي يدك زر النور ، حتى إذا اقتربت العربة وأصبحت فوق المصباحين تماماً ، اضغط على الزر بشدة . وعند ذاك يفاجىء النور السائقَ فينحرفُ بشاحنته مصطدماً بالأشجار أو يتدهور في الوديان إذا اخترت المكان المناسب عند المنعطفات الخطرة .

وقد طوّر آخرون هذه اللعبة بأن جعلوا زر النور لا يعمل إلا حين تمر فوقه عجلات السيارة نفسها ، وبينما الفدائيون بعيدون عن المنطقة يعملون لحتف آلية أخرى .

ومن هذا القبيل أيضاً نثر قطع الزجاج أو المسامير

الناتئة من ألواح الخشب ، وهي طريقة سهلة ورخيصة . فبها تثقب العجلات وتوقف العربات عن المسير .

وتغنيك جثة جندي عدو عن جميع الحيل والألاعيب . ما عليك إلا أن ترفعها في مكان ظاهر نسبياً . وتأكد من وقوف العدو ، إما رعباً أو تحسباً .

كذلك زرعُ الالغام ، وهي وسيلة لها أهميتها الخاصة ، لكن الظروف لا تسمح دائماً باستعمالها . فلو انتهزنا الفرص وزرعنا الألغام قبل نزول العدو ، لعَمِل من جهته على تفجيرها بالقنابل من الطائرات والمدفعية . أما ان نحفظ تلك الالغام لزرع طرق الدوريات فيما بعد ، فهو عمل ينمّ عن بعد نظر ، وخصوصاً إذا ما استُعملت ضد مدرعاته وقطعه الكبيرة . ولنسف قافلة تموين مثلاً ، علينا أن نبدأ بتفجير الشاحنة الأولى ثم الأخيرة وبذلك نقطع على باقي العربات سبيل الهروب .

ومباغتة الدبابات شبيهة إلى حد ما بضرب كافة الآليات الاخرى ، باستثناء حاجتنا في تلك الحال إلى التخفيف من سرعتها كثيراً - إما بتقوية وتضخيم العائق المادي ، أو بالإيحاء لقائدها نفسياً — كأن نغطي أرض الشارع ببضعة صحون طعام عادية أو ننشر على جانب الطريق غطاءً فيظنه السائق ستارة تخفي وراءها كميناً أو مدفعاً مضاداً للدروع .

وما ان تتمهل الدبابة حتى يسرع المقاتلون بما في أيديهم لها من هدايا ، يقذفونها من بعيد أو يفجرونها بواسطة

مفجّر يدوي ، على أن تقوم تشكيلات الحمايـة باشغال رشاشات الدبابة ولفت أنظار من فيها إلى حين لحظة التفجير .

وكما ذكرتُ آنفـاً .. ان لم تتح الطبيعة « غابات ، منحدرات ، بحيرات الخ » مجالاً لانطلاق الآلية في سرعة كبيرة فاختر أنسب الاماكن للإغارة عند المنعطفات والدروب الملتوية . بشرط أن تعزل الدراجة التي تتقدمها بحاجز من الأسلاك فتمنعها من العودة لانذار الدبابة . وفي حين يكون فريق خلفي هو الذي يهتم بالقطعة الكبيرة ، يجب أن يعمل فريق أمامي في تصفية القطعة الصغيرة ، وذلك خوفاً من الرشاشات الاوتوماتيكية المتوسطة التي تكون مزودة بها في العادة .

أمـا في حال طابور طويل من الدبابات ، فيتوجب إعطاب الدبابة الأخيرة أولاً ، فالأولى ، ثم الوسطى من الطابور ، وذلك لتدعيم الكمين وزيادة الضغط على حركة العدو وشلّها تقريباً . في تلك الحال يتولى الرماة البعيدون لفت الأنظار اليهم ، كي يتيحوا للمهاجمين القرّيبين توجيـه قذائفهم بدقـة إلى الجنازير أي في مكان اتصال الـبرج بالقاعدة على التحديد .

ولا تدعْ حجم المصفحة ورهبتها الفولاذية تسلبك الجرأة والثبات . انها ايحاء اكثر منها حقيقة ، والجنود في داخلها يعانون أسوأ حال من الحرارة والعرق وبخار البترول وتوتر الأعصاب . انهم في قبور متحركة لهـا فتحات ضيقة ،

فهم شبه مقيدين . ولهذا غالباً ما نشاهد قائد الدبابة يُبرز رأسه من الكوة العليـا في دورية نهارية ليستنشق الهواء ويستطلع مجالاً أرحب . ان هـذا الرأس قد يجر دبابته إلى الخراب لو استطعنا جندلته برصاصة دقيقة التسديد . عنـد ذاك سرعان ما يتوقف العمل داخل الدبابة ، لضيق المجال ، فيضطر طاقمها إلى التوقف أو فتح مداخلها لقذف الجثة .. وهكذا تنتهز أنت الفرصة وتقوم بالهجوم .

والواقع ان مهاجمة الدبابة بالبندقية كمهاجمة فرس البحر بقوارب من ورق . فقد لا تتهشم الفتحة الزجاجية بفعل الرصاص بل تتشعّر فقط وتسوء من خلالها الرؤية . عند ذلك يضطر سائقها إلى فتح الكوة الفولاذية ، وبذلك تزداد الفرص في امكانية اصابته ، أو تعطيل « البيروسكوب » الذي يؤمن للقائد الرؤية عن جانبي الطريق .

وهذه كلمة أخيرة في هذا الفصل : تحتل الأسلحـة الأوتوماتيكية مرتبة خاصة في الحرب الحديثة . وكذلك القنابل المختلفة ، فقد تغني واحدة منها عن عشر بنادق قديمة ، لكن اقترانها معاً يوفر أقصى مـا يحرزه عنصر المباغتة من فوضى وبلبلة وذعر . المهم هو التناسق البشري مع السلاح في انتهاز الفرصة ثم الانسحاب قبل ان تهدأ اصوات الانفجارات في آذان العدو .

وتبقى الاشارة إلى مؤهّل كثيراً ما يجد الفدائي أو رجل المقاومة نفسَه في حاجة ماسة اليه ، الا وهو السباحة ،

ان على من لا يعرف السباحة من المقاتلين ان يتعلمها سريعاً ، فكثيراً ما تكون مسارح المهمات هي الأنهار والجسور .
وليس من الحكمة هدر ساعات طوال لسرقـة قارب ، فعـلى اولئك الذين لا يتقنون العـوم ان يستعينوا على أخطار التيارات إما بجذوع الأشجـار أو صفائح البترول الفارغة .

الفصل التاسع

الحركة الفعلية : التخريب

ليست الكمائن والغارات هي السبل الوحيدة لتدمير ماكينات العدو وآلياته ، فحرب المقاومة والعمل الفدائي يقومان أيضاً بما يسمى التدمير الخفي ، أي تخريب المواصلات ووسائل الاتصال والعربات والمخازن وغيرها ، بحيث لا يفطن العدو إلى ذلك التخريب الا ساعة تحين الحاجة لاستعمالها. وهنا تزيد الحاجة إلى الخفاء والسرية ، وذلك لعدم لفت أنظار العدو اليك من جهة — بعكس ما يحدث حين تعتمد التفجير أو الحرق — وعدم لفت أنظاره إلى عدته ومؤونته من جهة ثانية ، كيلا يفطن إلى التخريب فيسرع بالاستعاضة عنها أو اصلاحها .

ولا يتم بعض التخريب بصورة صامتة وخفية على الدوام . ان تدمير مخزن ذخيرة لا يمكن ان يتم بصمت . أما براميل الوقود فيمكن ثقبها عوضاً عن احراقها . وإذا شئت التفجير بعد ذلك فاستعمل القنابل الموقوتة ، كي تجد

لك سبيلاً للهرب والابتعاد عن مسرح العمليات .

وهنا يتبادر سؤال : ما عدد مجموعة التخريب ؟

ليكن في مجموعة التخريب دائماً لا أقل من ثلاثة ، إلا في بعض المهمات فيُكتفى باثنين ، وأحياناً بواحد لا غير . وتقترن مهمات التخريب عادة بالتنكر الكامل ، لا الاقتصار على النظارات السوداء أو اللحى والشوارب المستعارة . ان اللباس هٰهنا هو الأساس ، وقدتلزمك الضرورة أحياناً إلى ارتداء ملابس النسوة أو زيّ موزعي البريد وحتى زي العدو ذاته.

والتخريب بشكل عـــام هو عمل فني وليس تهوراً واعتباطاً كما يتبادر إلى ذهن الرجل العادي . ان مركباً في قنال مائي لا يغرق بالنيران التي تلفت أنظار جنود العدو بل بالتخريب الصامت الذي يسد القنـــال ويوقف شرياناً مهماً عن الاستعمال .

وإذا كان المركب خشبياً فلن تحتـــاج إلى أكثر من « شاروخ » كالذي يستعمله الحمالون في عتالة البالات ، أو ساعتين من الزمن لنزع ما يكفي من الواحه وثقب العديد من الخروق فيه. اذن فالاختيار انما هو وليد الظروف والمعدات التي تحملها .

أما المركب الحديدي ، فخذ له مفكاً يحلّ لك براغي الامان في القاع . فإن تعذر ذلك وحالت صعوبة ما دون اتمام المهمة ، فعليك بمتفجرة موقوتة كحل أخير .

ولا تغفل عن صهاريج البترول ، فبها تصطاد عصفورين

بحجر واحد : تعطب السيارة وما شابهها ، وتحرق الوقود . ولو قدّر ودخلتَ مرآباً لآليات العدو تحت جنح الظلام وسمح لك الوقت بالعمل ، فاسحب من كل سيارة شمعة الشرارة – وارمِ إلى المحرك برغياً أو عقدة ، ثم أعدها مكانها . وفي اليوم التالي ستبرك تلك الماكينة حالاً في مكانها ساعة انطلاقها كما يتمزق جوف المحرك كلياً .

ومن أساليب العصابات الاجرامية في شيكاغو ، فكرة مطوّرة تستلزم اصبع ديناميت يعمل بفتيل ؛ وهو يلتقط الشرارة إما من الشمعة أو من مفتاح الاتصال الكهربي مباشرة . وبذلك يفجّر الخصم نفسه بنفسه . وهذه فكرة ثانية بسيطة وفعّالة : رشّ قبضة من الرمل الناعم أو مسحوق معدني في اسطوانات السيارة أو القطار . ان ذات الحفنة في مخزن البترول توقف أية عربة عن الحركة بعد مسيرة ثلاثة أميال أو أربعة . وحتى مِزق قماش عادي أو نترات القطن والخيوط المختلفة لهي كافية لسد مسارب الوقود عبر المصافي المسامية .

ومثل هذا بضع قطع من السكر . أما زجاجة من زيت الكتان تضاف إلى الوقود فان لها نفس الفعل السحري الذي يحوّل الآلية المتحركة إلى كومة من الخردة .

واليك شيئاً عن اراقة البترول .

ان تسرُّب البترول من الخزانات يحدث عادة ما يشبه صوت الارتطام والتراش . فلو فرشتَ بعض الرمال أو

أكياس الجوت أو نشارة الخشب لأمكن امتصاص ذاك الصوت المريب . ولتمزيق الاطارات المطاطية مكانته في قاموس التخريب ، لكن عليك أن تحذر تنفيس الهواء من الثقب العادي . مزّقْ المطاط دفعة واحدة بسكين ذي شفرة حادة حتى يخرج الهواء المضغوط بأخفت انفجار مستطاع .

وليس اصطياد الدبابات عملاً نهارياً ، كما أسهبتُ في الفصل السابق ، والسبب أن حال الركاب تزداد سوءاً ويتفاقم هياجهم ورعبهم نفسياً وجسدياً في الليل عما هو في النهار ، فاستغِلّ الازمة إذن وهاجم المصفحات وأنت ملفع بالظلام ، ثم فجّرها بالقنابل اليدوية أو أحرقها بزجاجات مولوتوف .

ولو شاءت الفرص السعيدة وحطت طائرة معادية بالقرب من معقل للفدائيين ، فستكون لهم كالثروة التي تنزل من السماء ، إذ يكفي اشغال من فيها وتحويل انظارهم أو استدراجهم لأنْ تُعمِل مجموعة أخرى في الهيكل والمحرك يد التخريب والتحطيم .

ولو تسللتَ ليلا إلى مطار للأعداء ورأيت قاذفات القنابل والمقاتلات رابضة بسكينة وبراءة غير معهودة ، فانك تحتار لحظتئذ ماذا تفعل . لا تتردد ، تناول أخف القطع وأسرعها إلى العطب ، كالمصعد الذي يوجّه الطائرة ويرتفع بها في السماء . وإذا شئت إحداث الصوت فازرع

القنابل واعقدْ حلقاتها بخيوط نايلون تجذبها أنت من وراء بناءٍ قريب . أما ان شئت النيران ، وتلك مخاطرة غير مأمونة العواقب ، فاثقب مخازن البترول – وتكون هذه قريبة من موضع المحرك – ودع السائل يغطي الأرض تحت جسم الطائرة ثم ارمِ له عود ثقاب وانطلق هارباً بأقصى سرعة .

ولتفجير مخازن الذخيرة ومستودعات الوقود عليك أن تستعين بالقنابل الموقوتة . أما إذا تعذر ثقب براميل البترول فوفّر على نفسك الجهد والمخاطرة ، وارم بينها قنبلة من نفس النوع . وأما الخطوط الحديدية ، فالحراسة عليها أشد ، إلى جانب سهولة ترميمها واصلاحها في أقل من بضع ساعات لا أكثر . إلا ان التأخير الحاصل كنتيجة للتخريب لا ينبغي التقليل من اهميته ابداً . فإذا أردتَ النسف فعليك بالجسور ، لأن اصلاحها يتطلب زمناً وجهداً اكثر مما تتطلبه الخطوط والعوارض العادية .

وفي حال تفجير عربات القطار عليك أن تختار العربات التي تسبّب بانقلابها اكبر قدر من الاعاقة . ازرع الخطوط بالمتفجرات الذاتية التفجير أو مدّ الأسلاك إلى مكامن محمية تصلها ببطارية كهربائية . واهتم بقطارات الجنود أيضاً ، فمن نفس المكمن تستطيع اصابة أية حافلة . والعادة أن تكون حافلة القادة والرؤساء هي الأخيرة أو التي تسبقها .

ولا تنسَ أن نزع الخطوط عن العوارض قد يعرّض

القطار إلى التدهور أو الانقلاب أو الخروج فقط . لذا اختر المنعطفات الحادة لتصعّب عملية التقويم أطول مدة ممكنة . ان تلويث الخطوط بالشحوم في مواقع معينة يُبطل مفعول الفرامل ويجعل من التسارع امراً في غاية الخطورة عند المنعطفات أو المنحدرات .

لا تدع جسراً أو عبّارة فوق مجرى دون أن تعطيها قسطاً مما تستحقه ولو من بعيد : إن بالنسف المخطط أو التفجير الطائف ، كأن تكدس المواد الشديدة الانفجار على لوح خشبي ثم تنزله إلى المجرى بعد أن تقيس المسافة بينك وبين الجسر وتحسب الزمن اللازم لوصولها اليه . وقّت الانفجار بدقة متناهية حتى يصيب كبد الجسر لا واجهتيه ، وانتبه الى أن لا يكون اللوح منخفضاً فيقلّ مفعول المتفجرات . اجعله عالياً حتى يلامس قنطرة الجسر أو يكاد .

وللعمارات والأبنية أيضاً نصيبها من غضبة رجـــال المقاومـــة . فالمخازن والمستودعات تناسبها النيران ، أما الثكنات والدور فلهـــا المتفجرات . زد معلوماتك قدر المستطاع عـــن مختلف أنواع القنابل والنواسف والمواد المتفجرة ، فهي كما تعلم موادك الأولية وسلاحك الفعّال . وقد لا ازيدك أو اكفيك شرحاً عنها في هذا المجال الضيق ، لذا انصحك أن تقرأ الفصل الخاص بالمتفجرات في أية دائرة معارف (البريطانية مثـلاً) إلى جانب استرشادك

الدائم من خبير الوحدة الخاص . إذ يتوجب الحاق مسؤول مختص بالمتفجرات بكل وحدة حتى يتلقّن رفاقه كيف يحولون علبة الصفيح إلى قنبلة وكيف يحيلون ناطحة سحاب إلى ركام .

وأرجو ألا يغيب عن بال من يقرأ هـــذا الكتاب للاستفادة منه ، بعد الذي عددناه من مهات الحركة الفعلية ، أن المقاومة والعمل الفدائي لا يقتصران فقط على التسلل ليلاً ، فالتخريب ثم الانصراف معزّزين غانمين بعد اداء الامانة إلى اصحابها . كلا ، الأمر صعب . والحذر والحيطة خصوصاً من الضروريات للعمل التخريبي كضرورة الخميرة للعجين . فغالباً ما تضطر مجموعة المقاومة إلى القضاء على اكثر من عقبةٍ ومسح اكثر من مركز مراقبة ، قبل أن تُفتح لها الطريق لاستكمال مراحل المهمة .

لظروف موجبة في بعض الأحيان ، يُكتفى باسكات الحراس دونما ازهاق للأرواح ، فيتعين على رجال المقاومة والفدائيين الاستعانة بالمصارعين ولاعبي الجيدو والأطباء كي يرشدوهم إلى أضعف نقاط الجسم ومراكز تجمعات الأعصاب الحساسة . وذلك كي يصيبها الفدائي ويسلب من حارس العدو وعيه بأسلم الطرق .

ان ضربة هراوة أو مطرقة بين الكتفين ، قادرة على أن تشل الحركة إلى حين . أما لو أردتَ سوق العـدو معك فانشر منديلك على كفك اليسرى تسدّ بها فمه عن

طلب النجدة ، ثم جئه من الخلف بسكّين في يدك اليمنى تلكز بها ظهره . وباليسرى تغطي وجهه من أعلى الأنف إلى أسفل الذقن .

وليست مهاجمة العدو من الخلف ممكنة دائماً ، فإياك الُحمق وتهديده بإشهار مسدس مقابل رشيش ، بل اضغط حالاً بقدمك اليسرى على ظاهر قدمه اليمنى (وافعل العكس ان كنت أعسر) ، ثم استبعد يدك الحاملة للسلاح ومزّق بالأخرى أزراره العليا وطوّح به من كتفه نازلاً على اذنه ان أردت بقبضة المسدس . وبسرعة أجذبْ كافة ملبوساته عن كتفيه وأنزلها إلى مستوى الكوعَيْن ، فتصفّده بثيابه وتقيد له بذلك حركة ذراعيه .

وإذا لم ترد جرّه معك ، فُكّ له السروال سُفُلاً حتى تمنعه من المشي أيضاً . ثم ابدأ في تفتيشه من قمة الرأس حتى أخمص القدمين ، واحذره دائماً ، فقد يكون مخبئاً لك سكيناً في موضع ما .

إياك ومطالبته برفع يديه ، فرفع اليد ، كما ذكرت في فصل سابق ، من أشد الحركات جلباً للأنظار وتطويلاً للظلال . ناهيك عن أن العدو قد يستغل تلك الحركة ويقذفك بقنبلة صغيرة بحجم البيضة يخفيها في قبضته . انه لن يجرؤ على تفجيرها ويداه متدليتان لأنه سيصيب نفسه عندئذٍ . ولا أحسب العدو من طراز شمشون الشهير صاحب : (عليّ وعلى أعدائي يا رب) ..

وعليك أن تصادر جميع أغراضه وعتاده من دبابيس وأقلام وغيرها ، فلعل قلم الكتابة ليس إلا انبوب غاز لا تخفى عليك الغاية منه .

ولتعذّر أسر الحراس نضطر إلى التخلص منهم بالأسلحة الخفية المشار اليها سابقاً ... من دبابيس القبعات العتيقة بطول ١٢ إلى ١٥ سنتم ، أو مدية مُلصَقة بالرسغ وأخرى عند العنق ، أو مسدس مكتوم الصوت ، أو خنجر حاد الرأس بنصلٍ – لا يقل عن العشرين سنتمتراً وله حاجز أمان أسفل المقبض .

اطعن به الجسد ، وبحركة لولبية مستمرة . واختر المقاتل عند الأضلع وباتجاه القلب والرئة والعمود الفقري . أما حركة الدوران فهي لتمزيق الأنسجة تمزيقاً كاملاً وتقطيع الأوردة والشرايين في أكثر من موضع .

ومن الأسلحة الخفية المطرقة ، وهي تستعمل اما لتحطيم الجمجمة أو لإفقاد الوعي بالضرب بين الكتفين . وعندك أيضاً خيوط النايلون الشائعة الاستعمال عند الصيادين ، فهي إما لمحاولة الخنق أو لتكبيل الرسغين والقدمين . فضلاً عن منديل مصرور فيه رمل لأكثر من حاجة ، وقد ذكرت بعضها في مطلع هذا الفصل .

ولاستعمال المدية من الخلف ، حاوِلْ أن تُفقد العدو اتزانه ، بالضغط عند باطن ركبتيه ، ثم تغرز النصل ، وباليد اليسرى تسد فمه حتى لا يرفع صوته بالصراخ .

وتذكّرْ دائماً القاعدة الذهبية التالية : عند أسْر أو تفتيش غريم ، اياك والدخول بينه وبين فوهة سلاح الرفيق ، اجعله يستدير لك بظهره ، لأنه دون رؤيتك لن يستطيع تدبير أية مقالب أو حيلة للايقاع بك . أعصب له عينيه ، لا لاخفـــاء الطريق عليه ، بل لشلّ حركته تماماً بفعل الوهم المتمثل بالظلام الذي يسدله المنديل الأسود على البصر والبصيرة معاً .

وليست تختلف طرق الايقاع برجال الدوريات عنهـا برجال الحراسة . انها تتصف بالأساليب النظامية من ناحية وبأساليب العصابات من ناحية أخرى . ولو أردتُ لعددت لك عشرات المجلدات التي تبحث كشف أسرار البندقيـة وأختها المدية .

وإذا اردتَ اختراق حواجز الحرس خفية فحاول ان تلفت أنظارهم بعيداً ، إما بجعل رفيق لك يثير قرقعة ما أو جعله يراشقهم بالحجارة . أما في المدينة فيكفي اثارة شغب مصطنع بين مخمورين ، وعند ذاك تنتهز سعي الحرس للتحرّي وفض النزاع ، وتتسلل مترجلاً أو في عربتك إلى النقطة المعينة ، فتضع الرزمة ثم تتابع السير ، فتوقف السيارة وتنسلّ بسرعة إلى دغل مجاور .

ويحسن بك أن تتمرّن على مباغتة نقط الحراسة بسرعة

ونجاح : أُعصب عيني رفيق لك ودع الآخرين يقتربون منه بحذر وصمت ليلمسوا كتفيه ، فإن لم يسمع وقع أقدامهم أو يمسك بهم ، فهذه من ناحيتهم أولى الخطوات في السير على الطريق الصحيح .

الفصل العاشر

المناورة والأسلحة

قد يتساءل القارىء ويقول : « وبعد أن ناوشنا العدو وأغرنا على دورياته ، وبعثرنا طوابيره ، وعبثنا بممتلكاته وعتاده ، ألم يحن الوقت بعدُ لنقاتل قتالاً حقيقياً ؟ » . ولو استفهمتَ منه عما يعنيه بالقتال الحقيقي لقال على الفور : (قتال المواجهة يا سيدي ... رجـــل لرجل ، وبندقية لبندقية) .

والجواب على هذا التساؤل : كلا . فليس ما جـــاءَ في الفصول السابقة إلا القتال الحقيقي بعينه . انه الجهد الذي تكون حصيلته ربح المعركة ثم الانتصار في الحرب ... وهنا الهدف . ثم أوَليس تخريب شاحنة واصطياد قائـــد وتحطيم قافلة تموين ، خطوة اجدى وأبعد أثراً من الترصد للقوات والاشتباك معها رجلا لرجل وسلاحاً لسلاح ؟

وينبغي أن لا يُستنتج من عبارتي الأخيرة انني اعارض الاشتباكات بشكل قاطع . كلا ، اقولها للمرة الثانية . ان

تفويت أية فرصة ناجحة لهو بمثابة خطوة إلى الوراء .
ومقاتلة الرجال بالرشاشات أو البنادق العادية عمل من صلب
حرب المقاومة ، على شرط أن لا يضحي هذا بالستراتيجية
الشاملة في سبيل كسبٍ تكتيكي مؤقت ، وان لا
يؤثر في قدراتنا ومواقفنا المرنة المتّزنة التي تحددها لنا
اطارات حرب المقاومة والعمل الفدائي .

اننا مجبرون على الالتحام والمواجهة في أكثر من ظرف:
حين تهاجَم قاعدتنا أو يطبِق العدو على معقل لنا ، أو
نقع في كمين معدّ ، لكن بشرط ضمان متطلبات الالتحام :
من مبادرة ذاتية ، وروح عالية ، وتفوق في الحركة
والتشكيل ، بغض النظر عن اعداد العدو وتفوق سلاحه ،
وحتى في ظرف استحالة النجدة والاضطرار إلى الانسحاب
الكامل .

تتلخص مهمة الجندي النظامي على أرض المعركة في
مواجهة العدو تحت مختلف الأجواء والظروف . أما مهمة
الفدائي فتتباين بعض الشيء لأنه يتحرك ليعيش ويعيش
ليقاتل غداً وبعد غد . إذن ، في حالة التطويق التام لا
تنتظر منه تسليماً هيناً بل صراعاً وحشياً وحتى الموت .

ان الفدائي لهو هبّة من الأعاصير تعصف بالمحتل وتنزل
بين معسكراته لتشرّد قواته ، انه يضرب ويهرب ،
يضرب ويواجه ، يضرب وينتصر ، ويضرب ويموت .
فيا أيها المقاتل : خذ العدو بالمباغتة في الليل وفي النهار .

أقضّ مضجعه ولا ترحمه في طعامه أو منامه . استفرده واستدرجه إلى حتفه . انصب له الاشراك والمصايد واعرف أرضك شبراً شبراً ، واحذر الغدر ثم خض قتالك بقلب مطمئن .

***

قبل الشروع في الهجوم يجري حتماً تخطيط المهمة القادمة بتناسق ودقة توزيع كاملة ، حسبما تفرضه الأحوال . وقتذاك يتم البحث حول : كم جبهة وكم رجلاً لكل جبهة والكشافة ، وطريقة الاتصال معهم ، وتوزيع القوة الرئيسية ، وميعاد الهجوم ، والوقت الكافي للتنفيذ . هذه كلها اشارات استفهام لا تعد ولا تحصى ، ومهمة التخطيط أن يجيب على أكبر قدر منها – ومن ثم تذهب أنت أيها الفدائي أو رجل المقاومة إلى ميدان التنفيذ . لا تسألني الجزم عن شيء من هذه الأسئلة ، فلكل معركة وجهها ولكل وجه ما يناسبه من أصباغ .

ان عليك أن تتأكد من حسن اختيار الأماكن وسلامة توزيع المجموعات في النقط الخفية المحميّة طبيعياً . هذا إلى فنّية تتالي الأدوار خلال الاشتباك ، كأن تفتح مجموعة النار لتلفت اليها الأنظار بينما تتولى مجموعة ثانية التقدم زاحفة ، فيما تحميها مجموعة ثالثة برشاشات تنشر ستاراً رادعاً من التغطية .

ولا حاجة إلى تذكيرك بضرورة الانتباه إلى عدم تبديد

الذخيرة ، فلا تطلق النار باكراً أو جزافاً . احرص على التسديد الدقيق ، وتقدير المسافات ، وتعديل جهاز السلاح الخاص بذلك . ان رصاصة صائبة خير من صلية كاملة في الهواء . وضابطٌ قائدٌ أولى برصاصتك من نفر عادي . اذن خصّص قناصة مهرة لهذا النوع من الصيد .

ان رشاشين على جانبي المجموعة الرئيسية كفيلان بتغطية العملية وتقدُّمها خطوة خطوة . أما التصويب فليكن إلى مركز الجسم ، في منتصف الصدر ، بين الحلق والسرّة . ولتُترك الأهداف البعيدة أو المنزوية يميناً أو يساراً يتكفل بها رفاق أقربون اليها . وانتقِ دائماً انسب هذه الأهداف. ولا تتابع الهدف بالبندقية وهو يتحرك بل صوّبْ رصاصتك إلى نقطة أبعد في طريقه ، وانتظر حتى يدخل مجال الرؤية واضغط لحظتئذ على الزناد .

جنْدِلْ الشخص الأقرب إلى مكمنك فيسهل بعدها اصابة الساعي وراءه .

وفي حال توقُّف العدو عن الرماية ، كإشارة إلى هزيمته ، اعتمد الحذر وانت تتقدم لتجريده من سلاحه وذخيرته وثيابه أكثر من أي وقت آخر . ان توقفه قد يكون خدعة للاستدراج . أما لو جابهك برد عنيف لا تحتمله ، فلا تدع الذعر يدب في صفوفك . كن ثابت العزم وأعطِ الاشارة لمجموعة التغطية كي تشاغله وتعيق مطاردته لك فيما تقوم أنت ومجموعتك بالانسحاب . ولو أخذت المجموعة

رشاشاً اتوماتيكياً (برنّ مثلاً) على سيارة لتولى وحده مهمة شل المطاردة وتفتيت قوامها .

* * *

ذكرت في مطلع هذا الكتاب ان المداورة ، والمناورة تكتيكان جـوهريان في حرب العصابات ، لو استغنى الفدائيون عنهما لما تمكنوا من الاستمرار . لكن ما هي المداورة في هذا المجال ؟ انها خداع العـدو ريثما تتحسن أوضاعك بالنسبة اليه . أما المناورة فهي تحويـل انظاره عن الهدف المعين بإيهامه أنّ قصدك لهو هدف آخر ، أو بغية العزل والاستفراد .

ومجال التوسع في الشرح هنا ضيق جداً لأنني لو جمعت كافة التكتيكات في كتاب لاحتجت الى شاحنة تحمله لي . غير ان الفدائي الحقيقي ليس ذلك المحارب الذي ينفـّذ ما في بطون الكتب بصورة آلية خالية من أي مبادرة ذاتية بل من يهضم تجارب السابقين في ميدانه ، ويتمثلها ، ويجعلها حافزاً له لاستنباط طرق جـديدة ، وإثارة ذهنيته الحربية نحو تحولات متطورة في فن القتال .

واليك هذه الخبرة :

لنقل مثلاً انك مع رفيق ثان تزحفان للاستطلاع فيما تكمن مجموعتكما وراءكما في منطقة استراتيجية ممتازة . هنا تحين الفرصة للاستفادة من مبدأ المداورة ، فتظهران نفسيكما للعدو من بعدٍ يتراوح بين المئتين والاربعمئة متر ، يكنكما تبرزان في كل مرة من نقطة مغـايرة ولزمن لا يتعدى الثواني المعدودة . ان أبرع قناص عند العدو لا يستطيع

رفع بندقيته وحساب المسافة والتسديد ثم الاصابة خلال تلك البرهة القصيرة . وحتى لو استُعملت الرشاشات الاوتوماتيكية ، فالفاصل بينكما يجعل من نارها مجرد هدر للذخيرة ليس الا .

بعد ذلك اشرعا في التراجع المنتظم معاودَين الظهور بين الفينة والأخرى دون ان تثيرا شكوكه فيشتمّ رائحة كمين . اطلقا النار على مؤخرته قبل مقدمته ، لسد الطريق على عملية التفاف قد يفكر بها لتطويقكما .

وبما انكما اثنان ضد وحدة كاملة فمن المشكوك فيه أن تنجحا في إيقافه عن ملاحقتكما . وهكذا تجرانه إلى تلك الملاحقة ، أي إلى السقوط في المصيدة التي يُعدّها له الكمين الذي أرسلكما .

وعلى الفدائي أن يستفيد من قذائف الاضاءة في الليل أو في النهار . وتكفيك قذيفتان في وضح النهار لاثارة حذر العدو ودفعه إلى ارسال دورية تحرٍ خاصة . عاودْ الاطلاق حال تحرّكه . انه سيبعث بمهمة استقصاء ثانية ، أما أنت فتُشعره بان الأضواء ليست الا خدعة لايقافه عن التقدم . عندئذ فاجئه بالكمين من الخلف وعن الجانبين ، لأنه على أبعد تقدير ، سيتجنب التقدم نحو الأمام وسيحاول الصمود مكانه أو التراجع إلى نقطته السابقة .

ولا تنس أن تضلل مظليّي العدو الذين يستعملون نفس قذائف الاضاءة كإشارة للتجمع . وكذلك وحدات المشاة

التي تستعملها كاشارة لنجاح المهمة .

وهناك مداورة اخرى هي اطلاق نيران خفيفة من جهة مقابلة لوحدة العدو . وذلك لبعث الطمأنينة في نفوس افراد تلك الوحدة ، بينما تكمن مجموعتان فدائيتان على جناحيها تنتظران دخولهـا الكماشة لتطبقا معاً على مؤخرتها .

والواقع ان عدداً يسيراً من الرجال تؤمّنُ لهم التغطية اللازمة ، قادرون تمام القدرة على جرّ مجموعات لا بأس بها من قوات العدو إلى أرض مكشوفة ، وذلك على شرط أن يراعوا قوانين الطهي جيداً ، فلا يدعوا رائحة (الشياط) تنبيء بالكمين للايهام قبل الأوان .

أظهروا للعدو خوذاتكم أو ماسورات بنادقكم من وقت لآخر ، وبادلوه اطلاق النـار بصورة متقطعة ومن زوايا متعددة . هكذا كان الأنصار في الحرب الاهلية الروسية ، كانوا يشعلون نيراناً كثيرة في الشتاء ثم ينقلون بنادقهم المعدودة من نار إلى نار . وبذلك يضللون قوات الروس البيض ويوهمونهم بوفرة السلاح الذي يقاومهم .

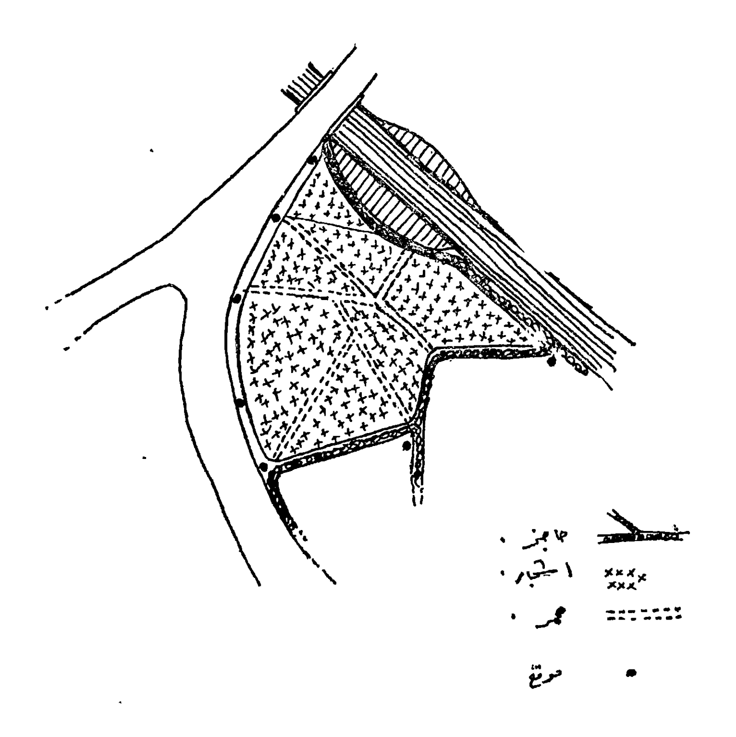
لكن كيف ينبغي التصرف إذا كان العدو متحصناً في غابة ؟ عند ذاك يجري حصره اول الأمر بحزام من مواقع استراتيجية متباعدة . ثم يتمّ تطهير مساحات محدودة منها ليتم التقدم فيها بروية ، ومن جميع الاتجاهات ، حتى تتلاقى مجموعات تلك النقاط اخيراً ويضيّق على العـدو

الخناق . وليكن رُماة القنابل وراء المهاجمين دوما ، على ان يحمل الرمـــاة اصنافاً لا ترد إلى المهاجمين شظاياها . وفي هذه الحال تلزم قنابل الدخان ، وإشعال النـــار في الغابة ان كان الفصل مواتياً . ولا ينسى المهاجمون حربة البندقية فهي كفيلة بتذليل كل العوائق التي تعترضهم بين الاشجار .

وهذه طرفـــة عن المناورة ما زلت أذكرها كحادثة جرت معنا في المكسيك . هناك اضطررنا إلى فتح ثغرة في خط العدو المتماسك كي يَنْفَذ منها رسول لنا . كيف نفعل ؟ لقد جئنا بمصيدة فئران وادخلنا فيها ذيل هرة ، ثم اطبقناها على الذيل حالَ استعدّ الرسول للانطلاق . وفيما كان الحراس يتحرّون عن مكان الهرة المعذبـــة التي ملأت الجو مواءً ، كان رسولنا ينسلّ بنجاح ... وقد نسي أن يرسل إلى الهرة المسكينة شكره على معروفها الكبير !

وقد ينجح الفدائي في تحويل انظار العدو في الليـل لو قلد نعيق البوم بالشكل الذي يؤكد له فيه انه عـدو مخادع لا ذاك الطائر المشؤوم ، فان سعى بعد ذلك إلى « البوم » تولى فدائي آخر القضاء عليه من الخلف .

وهذا مثال نادر للمداورة قمنا به مع رجال الجنرال ساندينو في نيكاراغوا . كنا يومذاك مطاردين ليلا من قبل الاتحاديين ، وكان الموقع طريقاً ضيقة تحف بها الهوات والاودية السحيقة وتكسوها النباتات الشوكية من الجانبين .



تطهير غابة

يتمركز كل مقاتل بحيث يرى رفيقـــه ، وكلما تطهّرت مساحة بالمدافع الرشاشة ، يجري التقدم لاحتلالها معاً .

ولافتقارنا إلى سواطير اضطررنا إلى التسلق باستمرار حتى وصلنا فسحة من الأرض تقوم عليها عدة اكواخ . وأمام كوخ منها وجدنا علبة من الدهان اللماع لم ندرِ ما الذي حملها إلى تلك البقعة المنسيّة من العالم . ثم جئنا بعنزة كانت مربوطة في الجوار وطلسنا شعرها بالدهان ذي الرائحة الفوسفورية الحادة . ثم إننا بربتةٍ رقيقة على ظهرها دفعناها إلى الطريق . والثابت أنها حوّلت إليها أنظار المتعقبين ، فقد وجدنا بعد ذلك متسعاً من الوقت ، لأن نتابع السير ونجد لنا مخرجاً الى مكان أمين .

ويمكن الاستفادة من أكوام التبن كوسائل للمداورة باحراقها لتنوير معاقل العدو ان أردنا مهاجمتها ، أو لتنفيذ سياسة الأرض المحروقة التي اشتهر بها الروس أكثر من غيرهم .

واليك هذه المعلومات النافعة فيما يتعلق بالطائرات :
احذر من الحركة تحت طائرة معادية ، لا ترفع اليها عينيك. فالطائرات المقاتلة غالباً ما تقوم بتحليقات دورية لكشف معاقل الفدائيين . فاذا ضُبطتَ أنت ومجموعتك على أرض مكشوفة فعلى القائد اعطاء الأمر بالتشتت وفك التجمعات . أما من يستطيعون الاحتماء وهم وقوف (وراء شجرة أو صخرة) — فليبقوا في أمكنتهم لا يبارحوها فيما الطائرة تحوم في الجو . وأما الباقون فلينبطحوا في أقرب مكان محميٍّ نسبياً .

أما كيف يجري اطلاق النار على الطائرة فتلك مسألة

متروكة لنوع الطائرة والحركة التي تقوم بها ... وحجمها الخ . مثلاً : يأمر القائد بتشكيل ثلاث مجموعات متفرقة ، كل مجموعة تحاصر الطائرة بالنيران من ناحية ، بتكثيف وعلى امتداد مئة متر في مجالها أحياناً . فإن انقضّت بشكل عمودي صوّبت المجموعات الثلاث نحو مقدمتها ، أو كما يُعرف ، نحو أنفها .

ولا تجعلوا الطائرات تُغفلكم عن الدبابات القادمة ، فتلك هي غاية الهجوم الجوي في أكثر الأوقات . وانتبهوا إلى المخاطبة بالاشارة خلال العملية لتمتين الصلة بين الأفراد المتباعدين بصورة مستمرة . وكل ظرف له ما يناسبه من وسيلة ، كالتخاطب بالأيدي عند الجنود النظاميين أو المصابيح الكهربائية التي تصلح لو جعلنا لها في النهار عدسة حمراء وفي الليل عدسة زرقاء . انها مناسبة جداً ، لأنها حتى لو لفتت انتباه العدو فلن تدعه يفطن إلى حقيقتها .

وهناك أيضاً تقليد الطيور للمحادثة ، حسب الفصول ، أصغِ إلى أصواتها جيداً ثم قلّدها تماماً أو لا تفعل بالمرة . واستعِن بالصفير وبكل الوسائل الممكنة حتى لو بدت مستغربة لأول وهلة ، كالمخاطبة بالغطاء وهي طريقة هندية تتلخص في ارسال الدخان بواسطة غطاء فوق نار موقدة .

ولن يجد من يفقه طريقة مورس للمراسلة أية صعوبة في فك رموز رسالة من دخان قوامها « نقط وشحْطات » طائرة في الجو . ولا يجوز أن يُستعمل موقد الرسائل لغير ارسال

الاشارات ، ووقّت ميعاد الاتصال بحيث يتوافق مع نيران القرية المجاورة حين تطهي نسوتها طعامهن . وبذلك يضيع المشبوه بين جمهرة من الأبرياء .

* * *

سألني العديد من تلامذتي عن مجمل اللوازم ، وهل في وسع الفدائي تسجيلها أو حملها معه دفعة واحدة . والواقع أنه من الصعب جداً حصرها على ورقة ، فلكل ظرف لباسه وتجهيزاته وحمله . ان مهمةً داخل المدينة تتطلب ما يلزمها من أدوات التخريب فقط : قنبلة صغيرة ومسدس محشوّ تحت الطلب . أما العمل خارج المناطق السكنية ، في الريف مثلاً ، فيسمح للمقاتل أن يحمل حقيبة ملأى على ظهره نظراً لاضطراره إلى الحركة المتواصلة لعدة أيام .

وهاك بعض ما في قائمة الحاجيات التي تتقدم عن غيرها في الأهمية :

أولاً : المال – يجب توفيره بشتى السبل وتوفره باستمرار ، لأنك قد تشتري بـه الأمان وفض المشاكل ، أو حتى المعلومات الخطيرة . قايض بثيابك أيضاً لو لزم الأمر . واستعن بموظفي المصارف ان كانوا معكم في التنظيم ، وأسرعوا إلى وضع اليد على الخزنات قبل دخول العدو إلى المنطقة .

ثانياً : خيوط نايلون بطول ٢٠ إلى ٢٥ متراً .

– مصباح كهربائي أسود ذو عدسة زرقاء .

- مسدس .
- منظار مقرّب معدّل للاستعمال الليلي .
- بندقية مع حربتها .
- فرجار (لقياس المسافات على الخرائط)
- قربة ماء .
- سكين ذات نصل ٢٥ سنتم .
- فلين محروق لتسويد اليدين والوجه .
- كبريت فوسفوري (لاستعماله العادي أو لطلاء فوهة البندقية بعد تبليله حتى تسهل عملية التصويب في الظلام) .
- بطانية منامة (للتمويه)
- غطاء اسود اللون (سيسودّ عاجلاً على أية حال) .
- من رمّانة يدوية إلى ٣٦ قذيفة يدوية صغيرة (ميلز) .
- جورب صوفي يُلبس في حذاء . وجورب أسود آخر أكبر مقاساً ليستُعمل فوق الحذاء .
- قطعة صابون (لغسل الأرجل المتعبة ، ان لم يكن لها استعمال آخر .)

ارتدِ ملابس صوفية فهي تتلاءم مع الأجواء الرطبة والباردة ، ولا تصدر عنها خشخشات غير عادية أثناء الحركة . واحذر حمل أية رسائل شخصية في الجيوب .. أو أية بطاقات هوية أو شهادات اثبات . ما دمت فدائياً فكنْ نظيفاً من الأوراق قبل أي شيء .

أما بصدد الحاجة إلى حبل النايلون الطويل ، فاذكر انني أشرت إلى استعماله إما لخنق العدو أو كقيد تُشَدُّ به أطراف الأسير . وكذلك يمكن استعماله كخدعة لتحويل الأنظار لو رُبطت في طرفه الآخر صفيحة مقرقعة ، ولنزع دبوس القنبلة اليدوية من على مسافة بعيدة — أو ربطه بنفس القنبلة وبشجرة على الطريق الثانوي ، كي يتعثر به جندي العدو ويفجر نفسه بنفسه . وفي هذه الحال ابتعدْ عن مركز هذه المصيدة لا أقل من الخمسين متراً .

ويمكن استعمال حبْل في الحراسة : اعترضْ بـه الممر الوحيد المؤدي إلى المعقـل ، فقد ينذرك ساعة اقتراب الأعداء ، أما إذا كانت المنطقة تعجّ برفاقك فان هذه الطريقة ليست عملية جداً . اعقد طرفه بمعصمك أو بعدة علب من الصفيح ، فبذلك يتولى الخيط الحراسة عنك لو أغمض عينيك النعاس .

كذلك لُفّ به الحاجيات التي تريد اخفاءها ثم أنزله في باطن شجرة جوفاء أو مجرى ماء ، على أن تستعيدها بجذب طرفه الظاهر سريعاً . ويُستحسن ضم فأس إلى تلك الحاجيات وأحياناً منكاش ورفش لمهمات خاصة .

وهذه كلمة قصيرة في الختام أود أن أجعلها عن غذاء الفدائي ومقداره ونوعيته . أظن أن ربع كيلو غرام من الزبيب ومثله من الشكولاته كافية لتلبية حاجة المقاتل وتجديد طاقته مدة قد تطول إلى اسبوع كامل . غير أن

وجبات نادرة كهذه أيام الحرب خصوها ، يجب الاستعاضة عنها بكل ما يقع تحت أيدي المقاتلين من غذاء ، حتى اصطياد الحيوانات من طيور وأرانب وأسماك ... الخ . ان لدى الفدائي مصباحه الكهربائي ، فلو غمسه في مجرى ضحل لتهافت السمك على النور وَسهُل التقاطه بالأيدي أو السكين . أما الطيور فان وهج المصباح يُعشي بصرها تماماً ويمكن انزالها عند ذلك بضربة عصا لا أكثر . ثم ان أمام الفدائي الريف بخضراواته وزبده ولبنه ، هذا لو ترك العدو ثمرة أو بقرة واحدة . لذا فهو مضطر احياناً إلى ارسال رفيق يشتري له ما يحتاج من المدينـــة . أو الاكتفاء بما يقدمه السكان المحلّيون الذين لا يبخلون حتى بالنفس في سبيل تحرير بلادهم . على انك ستجد انه من الأفضل لهم إظهار العنف المصطنع من قِبلك أو أن تلجأ للسرقة كيما تبعد عنهم أية شبهة تضرّ بهم .

الفصل الحادي عشر

قتال الشوارع

تعتبر الجزيرة البريطانية من أشد بلاد العالم كثافة وازدحاماً بالسكان ، ونادراً ما تقطع عشرة أميال دون أن تمر بوحدة سكنية أو قرية أو مدينة . لكن جهابذة العسكرية النظرية وعبقريي الحرب الكلاسيكية يرون منذ الآن ويصّرون على تحديد مناطق العمليات وحصرها في الأراضي غير المأهولة . ذلك لهم . أما نحن كمناضلين ضمن تنظيم المقاومة والفدائيين فلن نرتكب الهفوة المميتة ونسلم مقاديرنا لمن يتصفون بالغباء والتحجّر وقِصر النظر . إننا كما قال ونستون تشرشل: (سنحارب ان وطيء النازي ترابنا ، من شارع لشارع ومن بيت لبيت) .

وهذا ما نقدمه بالفعل لكافة المقاومين والفدائيين من الأصول الاولية لحرب الشوارع . ان الحرب الحديثة لم تقلّص ميادينها ، بل على العكس لقد وسّعتها في جميع

الاتجاهات حتى أضحت المدن قلاعاً بكل معنى الكلمة . أليست تصد زحف العدو وتوقفه ثم تردُه ؟ هذا هو ما رأيناه في مدريد ووارسو وستالينغراد .

ان العناصر النظامية وغير النظامية في مدينة مزدحمة قادرة بصمودها الناجح ان تحوّل دفة الحرب بالنسبة إلى العدو ، فتكون شوكة في جنب طلائعه المتقدمة : تعيق حركة القوات ، وتقلب الخطط المرسومة رأساً على عقب . وعندنا طبرق في شمال افريقيا أبلغ شاهد وأسطع دليل .

وقد يسأل المقاوم عن الاصابات المحتملة في هذا النوع من القتال ، فعليه ان يضع في اعتباره ما يلي :

تقف حرب الشوارع في القمة من حيث الخسائر والاصابات . لكن المبادرة تبقى دائماً بأيدي المدافعين من خلف جدران المنازل القائمة والمتهدمة ، الفخمة والمتواضعة ، من وراء المتاريس ، وفي الخنادق ومن على الاسطح . إذ يتعذر على العدو العامل في الازقة والشوارع المتفرعة ان يستعين بالدبابات أو المدفعية البعيدة المدى ، أو حتى قاذفات القنابل الجوية . فالشوارع محرّمة الا على الجندي المقاتل ، وقد تضر المساعدة الخارجية أكثر من أن تنفع . فضلاً عن ان حصر الدبابة بين كوخين متهدمين معناه خروجها من نشاط المعركة حالا ، هذا ان لم تصدّها في أكثر الحالات التحصيناتُ الجبارة من شاحنات منقلبة على جوانبها أو ترام يربض في عرض الطريق .

ومن مفارقات الحرب الشائعة سوءُ حـــظ المصفحات أكثر من أي سلاح آخر ، وذلك لوفرة ما يستقبلها من الورود الحديدية ، قنابل وبازوكا وكوكتيل مولوتوف . انها عند ذاك كالمحتفى به تُنثر عليها « الورود » من النوافذ العالية التي لا تطالها مدافع الدبابة ، أو تنزلق اليها من نوافـــذ الغرف الواطئة . وقد تتحفها به فتحات المجاري يطلُع منها الفدائي على غير توقع ويسلّم الحصنَ الهادر المتحرك هديته ، يداً بيد .

وامكانات الاستفادة من السلاح الخفيف عظيمة في هذا النوع من القتال يا رجال المقاومة ، فلو نصبتم مدفع رشاش عند مفترق طرق أو فوق مكان مرتفع يشرف على الشارع الممتد باستقامة ، لأمكنكم السيطرة الكاملة على الحيّ ، وفي وضح النهار . لذلك غالباً ما يحمى وطيس المعارك في الظلام ويجري التقدم من بيت لبيت في ظروف تستدعي الضحك على ضراوتها . فكثيراً ما يكون نصف المبنى مـــع هذا الفريق والنصف الآخر مع الفريق الخصم ؛ وكلٌّ لا يعرف ما يبيّته له عدوه في الدقائق القليلة المقبلة .

وأكثر أنواع الأسلحة شيوعاً وملاءمة لقتال الشوارع هي الرشاشات بأنواعها المختلفة الاتوماتيكية والعادية . وكذلك المسدسات ، والسلاح الأبيض ، والقنابـــل اليدوية ، ثم القذائف المضادة للدروع (مدفعية جيب) أي الخفيفة . أما البنادق العادية فتكون لمهات القنص وتسلق الجدران

والأسوار ، بشرط أن تكون منزوعة الحراب ، لأن الحربة تؤذي في تلك الحالة ولا تفيد ، فلا تنتظر من المقاتل أن يهرول شاكي السلاح بين تجمعات رفاقه في الممرات والغرف المزدحمة أو عـلى السلالم وفوق الأثاث ، دون أن يصيب أحداً إصابات غير مقصودة بالطبـع .

أما المعدات الباقية فتتنوع ، من المصابيح العاملة بالبطارية أو الشموع لانقطاع الكهرباء عن ميدان القتال الضاري — الى الأسلاك الشائكة وقنابل الدخان التي تقيم ستائر تغطية تحمي تنقل المحاربين عبر الشارع . وإذا تعـذر وجودها جاهزة كان على المقاتلين أن يصنعوها ، وذلك أمر سهل . فهي من ندف القطن المغمّس بالزيت مع القطران والقش والأسفلت والبارود .

وعلى قائد المجموعة أو آمر المفرزة ان يحتفظ دائمـاً بمنكاش وفأس ورفش لتدعيم متاريس الرمل امام المكامن . فالحواجز على كافة انواعها ومقاييسها هي التي تحيل المدينة المفتوحة الى حصن حصين . إذن فلتكن الشاحنات والعربات العتيقة مستعدة دائماً لنقلها على وجه السرعة إلى المـكان المحدد ، ثم لـتُقلب هذه على جوانبهـا ويتم نزع دواليبها ايضاً . وفي حال عدم توفر الشاحنات علينا بقطع الاشجار الضخمة او تكديس كل ما تقع عليه ايدينا كما فعل الشعب ابان الثورة الافرنسية . (طاولات وأسرّة ومقـاعد واخشاب . . الخ) إلا أن هذه المتاريس غير الصامدة

ينبغي ان تقام فقط للاحتماء من مدافع العدو الرشاشة ، لا أسلحته الاقوى . بينما يجري العمل سريعاً في اقامة متاريس أمتن وحواجز أصلب وأعلى .

وكيف يتم الدفاع عنها ؟ لا تدافعوا عن متاريسكم بالطرق القديمة التي ألغت نجاحها مدافعُ المورتر والقذائف الملتهبة . ان حماية المتراس هذه الايام تقوم من فوقه ، أي من النوافذ المطلة عليه ومن وراء تلال المواد المحطمة المنتشرة حوله .

وتضمن العوائق من الاسلاك الشائكة قطع الطريق على الدبابات والسيارات والشاحنات على السواء – فهي لذلك شائعة الاستعمال بصورة واسعة : اولاً لخفة وزنها ، وثانياً لسهولة مدّها .

يُغير العدو بالقنابل على اية بلدة قبل ان يشرع في الهجوم عليها . اذاً ففي اللحظة التي يتوقف فيها الضرب مباشرة ، تبدأ طلائعه في دخولها من اكثر من جهة . وهذا مما يدفعنا الى التصدي لكلا الهجومين ، الجوي والبري ، بتناسقٍ وسرعة نحتاجها ساعتذاك اكثر من أي وقت آخر ، كأن نرتب ملاجئنا من الغارات الجوية قرب المواقع التي سنصدّ منها مشاته الزاحفة ، دون ان نضيّع دقيقة واحدة للخروج من المخابىء ثم اختيار المواقع ، فالتمركز ، فالقتال .

وانسب المخابىء من الغارات هي ابنية الباطون المسلح ،

وملاجيء أندرسون المقامة داخل البيوت المحصنّة باكياس الرمل ، والتي يستحسن اختيارها على جانبي الشارع ليسهل على كلا الطرفين حماية الطرف المقابل بسهولة .

وما دمتَ ايها المقاوم داخل الجدران فانت آمن ، اما في الشارع فـــان الكلمة الفصل تكون للمدفع الرشاش . وهذا مـــا يجبرك على انتظار الليل لتقوم بالانتقـــال ، او استعمال تفجير اللازم من قنابل الدخان في وضح النهار .

واخدع العدو على الدوام ، فـــلا تعبر الشارع بعد إلقائك القنبلة مباشرة ، بل اصبر حتى يزرع رشاشه طلقاته في الهواء ، وحتى تسخن الماسورة فيضطر الرامي عندئذ الى استبدالها باخرى باردة . وقتذاك انتهزْ بدورك الفرصة وهبَّ مع رجالك من الناحية الى الناحية المقابلة . لذلك ميّز جيداً اصوات اسلحة العدو ، وزمن الفواصل بين كل رشّة ورشّة ، واعرف ان المـــدة القصوى للتوقف هي برهة استبدال الامشاط أو احزمة الرصاص .

وهناك وسيلة ناجحة طريفة ، لكنها كافية ، لستر الشارع بطوله او منطقة الاجتياز على الاقل ، وهي : اما غطاء سرير مثقلٌ بالماء او سجادة عادية تتدلى من حبل يُنصب من نافذة إلى نافذة مقابلة .

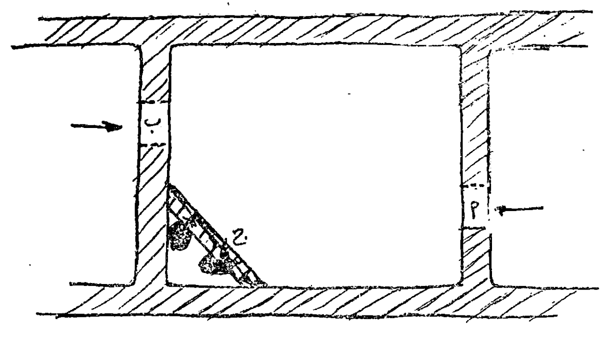
وفي حالة اضطرارك الى النزول للشارع اركضْ دائماً على يمين الشارع ملاصقاً للجدران ، فلا الاعداء من النوافذ العليا سيفطنون الى وجودك تحتهم مباشرة ، ولا اولئك

الذين في النوافذ المواجهة سينجحون في اصابتك ، اللهم إلا إذا قدِّر وكان اكثرهم أعسرَ .

خذ معك مخلاً وانت تزحف بين المنازل . فأسلمُ واقصر ممر تحت وابل من النيران ، هو طريق الفجوات الضيقة المنقوبة بين الجدران ، على غرار ما تفعله الفئران . والمخل اداة تكتيكية مثالية ، وبخاصة انه يتيح لك نقل رشاش من موقع ضعيف إلى آخر استراتيجي دون ان يلفت نظر العدو او يكشف له المفاجأة قبل اوانها . وهذا ما اثبتته الوقائع الفعلية في عمليات قمنا بها في ضواحي مدريد على طول الشوارع التي يحتلها الفاشست .

والآن كيف يتم احتلال شارع ما ؟ تبدأ الخطوة الأولى لاحتلال شارع يسيطر عليه العدو بنسف الباب الأمامي أو الخلفي للمنزل الاقصى ، تحت ستار كثيف من الدخان . وحال اكتمال التجمع من الداخل – يدّعم الباب المفجَّر ثم يجري تفتيش البيت باكمله خوفاً من وجود مصايد أو اشراك ، وبعد ذلك تخصّص غرفة أرضية لتكون مركز انطلاق للعملية . ومن هذه الغرفة تبدأ عمليات النـّقب وفتح الفجوات إلى البيت الملاصق .

وعليك ان تحفر بسرعة وبهدوء وباعصاب باردة ، على أن تظل مجانباً للفتحة مخافة النار من الجهة الأخرى وخشية ان يكون هناك اعداء متربصون . إقذف بقنبلة أو اثنتين حتى تتأكد تماما من اسكاتهم ، ثم وسّع الفجوة واتبع

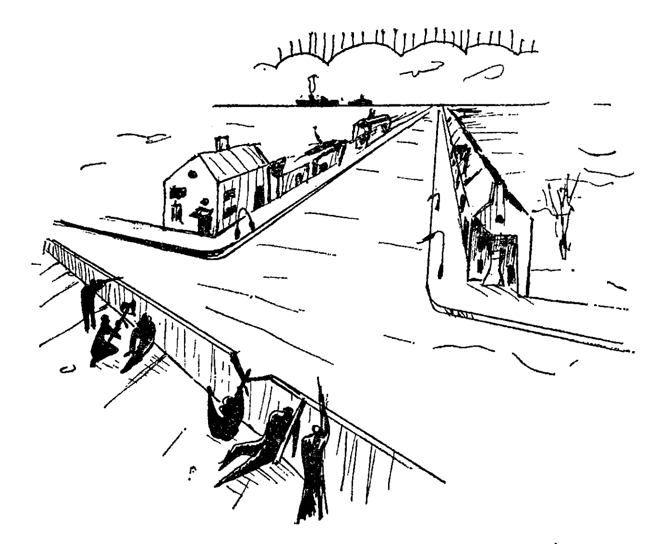


القتال داخل الغرفة

١ – الدخول من الفجوة عند (ا) .

٢ – اقامة متراس بعلو متر ونصف المتر تقريباً عند (ح).

٣ – التربص للعدو الداخل من الفجوة عند (ب).



قتال الشوارع

الفئة ا تطلق النار إلى اليسار وتحمي ب .

والفئة ب تطلق إلى اليمين وتحمي تقدم الفئة ا .

الحيطة واليقظة وانت تخطو للبيت الثاني .

وإذا هاجمك العدو بنفس طريقة الفئران هذه فسارع إلى احتلال الطوابق العليا من المبنى وكافة الغرف الملاصقة لمكان الحفر ، واثقب فتحـــات صغيرة في الجدران حتى تتمكن من اصابته وأنت في مـأمن كامل من نيرانه أو قنابله .

واثناء تقدم مجموعتك على طول الشارع ، دع اثنين أو أكثر من رفاقك يتفرقون في كل بيت وهم يطلقون النار ، كي يوهموا الغريم بكثرة عددكم ووفرة سلاحكم . أما إذا أردتم البقاء في مبنى معـــين ، فيتوجب عليكم تدعيمه ومترسة جميع فتحاته وتحصينها .

ولا خوف إن عجزتم عن احتلال الشارع باكمله دفعة واحدة ، فحتى لو احتللتم جانباً من الشارع وبقي العدو على الجانب المقابل فهو لن يجرؤ على استقدام الطائرات أو المدفعية ، لاستحالة الدقة المتناهية من نار هذين السلاحين . ومنعاً للالتباس أو الخطأ ، يُستحسن الاشارة إلى البيوت المحررة بعلامات عادية لا تثير الانتباه كخرقة من سجادة أو قطعة قماش تتدلى من النافذة العليا .

ولنفرض انه تم تطهير جانب واحد من الشارع ، فما العمل لتطهير الجانب الآخر ؟ بعد تطهير صف واحد من المباني ، يجري اسكات أو (قتل) منزل مقابل بتركيز النار عليه من ثلاثـة مواضع ، هي : البيت المواجه له

تماماً ، والبيتان اللذان عن جانبيه . وحـــال النجاح في تطهيره تتقدم زمرة لاحتلاله عبر الشارع . ومن ثم تعاد ثانية عملية النقر والفجوات لتحرير باقي المنازل في الصف الآخر .

هنالك طريقة ثانية يمكن اتّباعها في حال تعذر احتلال الشارع بواسطة الفجوات حين تكون المنازل فيه متفرقة ومتجاورة لكنها غير متلاصقة تماماً . في تلك الحال تنقسم وحدة التطهير إلى فئتين تلازم كل فئة البيت الاقصى من الشارع .

ثم تبدأ الفئة التي عن اليمين في اطلاق رشاشاتها والقذائف المرسلة بالبنادق العاديـة إلى المنزل التـــالي عن اليسار لتسكته . وفي تلك اللحظة تُسرع الفئة التي عن اليسار إلى احتلاله والتمركز فيه لاسكات المنزل الأول المواجه لها لتحتله الفئة اليمنى ... وهكذا تكمل الفئتان تطهير الشارع منزلاً منزلاً ، وبتقدم مشترك عن الجانبين .

انتبهْ دائماً إلى منافذ المباني المحتـلة والشبابيك الخلفية والأخرى الأرضية المطلّة على الحديقة ، واستفدْ من أمان الأسطح لتتقدم عليها دون انكشاف . أما المنازل المنفصلة فغالباً ما يكون لها جهة مسدودة تماماً باستثناء فتحة أو فتحتين للمطبخ ودورة المياه . عليك أن تتسلق هذا الجانب بواسطة حبل وعلاّقة ، وحال الوصول إلى نهاية المدخنة بامكانك انترمي ما يكفي من القنابل اليدوية أو قنابل الدخان

لتطهير المبنى دون أن تدخله .

ومن الحكمة ان يتم تفتيش كل دارة جديدة بسرعة وبأخفت جلبة ممكنة ، ودون مخاطرة أو تهوّر . لذا حذارِ عند فتح الأبواب من تعريض صدرك للمنفذ ، فقد يصيبك عدو متربص أو تسقط عليك مصيدة . مدّ خوذتك أو قبعتك برأس البندقية ولا تسأم تكرارها ، واستعمل القنابل عند أول بادرة شك بوجود احدٍ مختبىء . دع بعض الرجال يبقون في صحن الدار حتى يفوّتوا على المتسللين من الطوابق العليا فرصة تدمير الطابق الأرضي بقنابلهم . وعلى هذا الأساس يكون التفتيش من الأعلى إلى الأسفل أسلَم ، كما يكون النزول من الأسطح أو عبر الجملونات أضمن من دخول الباب الرئيسي .

ثم في اللحظة التي تحتل فيها مبنى ما ، اشرع على الفور بتحصينه وحراسته من جميع الجهات ، وكأنك تريد أن تجعل منه نقطة انطلاق أو موقعاً دفاعياً صامداً . وقتذاك دعِّم النوافذ بأكياس الرمل ان كان ذلك ممكناً ، أو بالمفروشات وقطع الأثاث الضخمة ، فهي ترد عن الداخل الرصاص وتمنع ورود القنابل اليدوية . لا تهمل فتحة مهما بلغت من الصغر . بل انقر ما يلزم للتصويب ، إما بالمخل أو بنزع قطعة أو أكثر من الحائط المبني بالطوب .

استعمل الفأس لتدعم أكياس الرمل بألواح خشبية ، كي تجعل منها اطارات لخروم المتاريس ، وأبق على وعاء

فيه ماء في كل غرفة لكافة الاستعمالات ، للشرب أو لاطفاء النار . واياك والخروج من الباب الأمامي ، اسلك دائماً طريق الأسطح أو الباب الخلفي أو احفر لك سرداباً كسرداب الُخلد يفضي بك من داخل الدار إلى سور الحديقة زيادة في الضمان .

ولا حاجة إلى التذكير بوجوب الاستفادة من شبكة المجاري لمفاجأة العدو خلف خطوطه ، لكن احذر ورجالك الغازات السامة التي لا تنفع معها الكمامات العادية . أما في المدن التي لها شبكة مواصلات أرضية كالمترو وما شابهه فيمكن الاستعاضة بها عن المجاري لنقل قطاعات أضخم وأعداد أوفر بسرية وبسرعة أكبر .

وليس هنالك ما هو أنفع لمقاتلي الشوارع من معرفتهم التامة بدقائق وتفرعات الشوارع ، ظاهرها وباطنها . ففرص النجاح ستكون متوفرة والمفاجآت غير السارة نادرة الوقوع لو أن الفرد منا أخذ بكل كبيرة وصغيرة ، من استذكار أفخم إلى أوضع كوخ ، فضلاً عن مواضع البيوت المهجورة ومنافذ المخازن والمصانع وورشات العمل ودكاكين الأدوات واللوازم ... الخ ..

ولما كان من غير الممكن ان تظل وحدك تحرز الانتصار فقد تُجبرَ على التراجع . فاذا اضطررت إلى التقهقر فاختر ثلاثة أو أربعة مباني ، أضرِمْ بأولها النار حتى تقيم عازلاً ملتهباً يرد عنك العدو إلى حين ، فتتفرّغ إلى إنشاء

المصايد وإخفـاء القنابل في المباني الباقية . وزّع القنابـل الموقوتة في كل الانحاء واربط المتفجرات السريعة بمقابض الأبواب ووراءها ، وتحت السجاجيد ، وحتى في الثلاجات لتجعلهم يتذوقون طعم النواسف باردة في بطونهم .

وآخر نقطة في هذا الفصل هي النقطة الأولى فيه :

ارسم خطتك حسب تقارير وخرائط رسمية صحيحة ، ولا تختر الشوارع القديمة والأزقة الجانبية اعتباطاً . أُدخل إلى قلب منطقة العدو وابدأ بزحزحة أصابعه منها إصبعاً اصبعاً ، حتى تتهاوى قبضته أخيراً ، وتتلاقى وحدات المقاتلين كما تتلاقى نقاط المداد على ورقة النشاف .

الفصل الثاني عشر

الحرب النفسية

ان معظم ما أوردته في الفصل السابق عن قتال الشوارع ، العادي ، يمكن أن تقوم به فصائل الجند النظاميين لا العصابات وحدها . بيد ان مفارز العصابات ، على قلتهم في مدينة ما ، يمكن ان يخلقوا للغازي المحتل متاعب كثيرة .

انهم يظلون مصدر ازعاج لا يستهان به لسلطات الاحتلال ، يوجهون لها الضربات المتتابعة والقاسية من على اسطح المباني أو منعطفات الأزقة والمكامن العليا ... الخ .

خذ مثلاً قناصاً منهم يكمن في مواجهة مقر قيادة العدو المحلية . انه ينتظر خروج قائد كبير ليجندله بطلقة واحدة ثم يُتبعه بأول جندي يحاول الرد في حينه . وحين يتكاثر الحراس عند مدخل البناية التي هو على سطحها طالبين الوصول اليه لا يرتبك قناصنا البارع ولا يفقد

رشده ، بل يأخـذ في التواري بهدوء عن طريق معدّ خصيصاً : يقفز إلى سطح بناية اخرى ثم عن طريق غرفة علوية إلى بناية ثالثة ويغدو في مأمن فكأنه لم يفعل شيئاً .

اذن ، مـن الأصوب للقناصة أن يكمنوا قبل الفجر بوقت قصير ، فيموّهوا أنفسهم ويُخفوا أسلحتهم تماماً إلى حين بروز الضحية ذات الرتبة العالية والرأس الثمين . ثم طلقةً واحدة ، وبعدها انسلال منظم لا يعرّض صاحبه إلى أخطار طارئة .

والمعروف ان الفدائي في المدن يتلقى من العون والتأييد أضعاف ما يجده في الريف والقرى الصغيرة . هنـاك يجد الدعم الواسع في المناطق السكنية والتسهيلات الكثيرة ، وحتى الملاجىء التي تحميها صدور المواطنين الشرفاء ، كل ذلك يتم باندفاعات غريزية من الأهلين وكأنهم يطرحون السؤال التـاريخي المحيّر : (من الذي يحرّك الآلاف في آن واحد ، وفي تناغم واحد نحو هدف واحد ، رغم ان اكثرهم في شبه تيه ، لا تنظيم يوحـــدهم ، ولا خطة متناسقة تجمعهم ؟) أهو الواجب القومي أم مجرد العطف؟

والتاريخ لا يتعب من تكرار هذه الظاهرة الفريدة ، فهو يشير أولاً نحو الصلة ، صلة الكلمة ، وبعدها الشعور ، وأثر مبادلة الأخبار بشتى وسائل كل عصر . فحين كان الرغيف صناعة يوميـــة تتم خارج الدور كانت الرسائل السرية لا تجد رسولاً غير ذاك الرغيف . أما الآن فلم يبق

شيء من ذلك وغدت وسيلة الاتصال ارفع واسهل . انها الكلمة .

وتسألني : كيف تنتقل الكلمة الصادقة وسط طوفان من الضجيج المضلِّل الذي تفرزه ابواق العدو التي لا تكف ولا ترحم ؟

الأمر بسيط ، فلنا في ايامنا هذه المنشورات والصحف ومحطات الراديو السرية ، وقبل ذلك جميعاً تأتي الكلمة المجردة بالهمس في الاذن مباشرة ، إذ تكفي بضع عشرات من الاخوان نلقّنها البيان حتى نجده وقد شاع آخر النهار في كل دار وعلى امتداد المنطقة بأشملها .

انّ جعل المواطنين يشعرون بوجود الفئة المقاتلة بينهم مع تفهم متواضع لاهدافها الوطنية هو اول الخطوات الناجحة لاقامة قاعدة صلبة من الثقة بينهم ، قوامها التأييد الفعلي والمشاركة الواسعة ، حتى لكأن الوطن يجند بتلك الفئة الاكثريةَ الساحقة من المواطنين . عند ذاك تجدهم ينجذبون نحوها كما تجذب قطعة المغناطيس كل برادة المعدن المرشوشة حولها .

وليس ذلك بالأمر العسير ، اذ تكفي وريقات قليلة لتنتشر الكلمة الصادقة والخبر اليقين . ان همسة عن البطولة كفيلة بأن تجعل المدينة ملتهبة بالحماس . ومهما جنّد العدو من مواطنينا بالاكراه في خدمته فلن يفلح في تجريدهم من حقدهم عليه او يكبح جماح تمردهم على استعباده .

ان الشعب يظل على الدوام ينتظر الطلائع القائدة او الخميرة الطـــاهرة ، ومن ثم ينخرط في معركة المقاومة الصريحة دون خوف او تخاذل .

ولكـم تتنوع ضروب السلاح والصراع وأوجه المعارك ، حتى تصل إلى الكلمة المزوجة بالحقد المركّـــز السام أو المغلّفة بالاستهزاء الجارح . فالتشنيع لا يغمز من جدّية المواطن أو شجاعته وأمله الكبير . وهو ليس دائماً انعكاساً لعقدة الضعف أو التشفّي ، فالحرب النفسية جبهة قاسية أخرى ، والفاشية اشـرس من يخوض الحرب على تلك الجبهات . غير ان اشتراكيي النمسا سنة ١٩٣٤ لم يسمحوا لخصومهم الفاشيين بفرصة المبادرة ، فاستيقظت فيينا ذات صباح من ذلك العام على منشور يغطي جدران العاصمة ، يقول :

« اعلان من بوليس بلدية فيينا :

(نظراً للعدد الهائـل من المعتقلين السياسيين ولتعذّر مواجهة البوليس للمجرمين السياسيين والعاديين معاً ، يُرجى من المواطنين الكرام التعـاون معنا ومد يد المساعدة — فيأخذون على عاتقهم مسئولية معاقبة اللصوص والنهّاب والسكارى والداعرات ... الخ .

انـنـا واثقون من تعاونكم الصادق في هذه الظروف الخطيرة ، تاركين لنا المجال لضرب فلول المجرمين السياسيين

الحقيقيين بيد من حديد » .
انتهى المنشور .
اليس ذلك دعوة مبطنة لاشاعة الفوضى والارتباك ؟
ألن يفعل منشور من هذا النوع فعله عندنا لو الصقنا تحت جنح الظلام ما مفاده : (على من يريد حليباً أن يتقدم بطلب رسمي قبل ثلاثة أيام إلى مركز الناحية) .
ان النسوة التي تنطلي عليهن الحيلة وقتذاك لن يضمرن كرهاً لكاتب هذا الهذر الجاف . ان تصعيد الأزمة في المدينة المحتلة أمر حتمي للوصول إلى نتيجة ما في صالح شعبها ، واولئك النسوة أنفسهن سيشتركن في اللعبة ذاتها ، وعن وعي كامل لمراميها ، في المرة التالية .
ويكفي التظاهر لساعة واحدة لأن يُربك نظام الاحتلال البيروقراطي المضعضع لعدة أيام . ولا تخش تكليف الموظفين الوطنيين بمهات التجسس أو دسّ تقارير كاذبة ضمن تقاريرهم ، فقد يُرفّع احدهم يوماً ، كما ترفّع أحد الوطنيين النمساويين إلى وظيفة محقق في دائرة مكافحة التنظيمات التي يترأس بعضها .
ويمكن أن تسألني : ما هو هدف العصابات من كل هذا الجهد المحموم ؟
لقد لخّصت هذا الهدف في الفصول السابقة في ثلاث نقاط :
١ – ضرب الموارد .

٢ – ضرب الرجال .
٣ – ضرب المعنويات .

وها أنا أضيف نقطة جوهرية رابعة : هي ضرب التنظيم .

مَن منا لا يتصور كم هي الحياة اليومية معقّدة ومتداخلة ومتشعبة ، لا في المدن والعواصم فقط بل في البلاد بأسرها !

ان هدف العصابات هو ضرب نواة هذا التنظيم وتفكيكه .

ومن منا لم يسمع وهو صغير قصة الرسول الذي امتطى حصاناً في حذوته مسمار واحد ينقصها ؟ لقد تهاوى الحيوان وتأخرت الرسالة في الوصول – فخسر الجيش المعركة .

ان علينا أن نترجم هذه القصة إلى أكثر من لغة : نقطع التيار الكهربائي لدقائق معدودة مثلاً ، فالانقطاع قد يؤثر في مجرى معركة تدور رحاها على بعد ثلاثمئة ميل. ومن شأن مسدّ منافذ المجاري ان تغرق المدينة بأسرها في طوفان مزعج ، ولا يهم أأتلفت المياه مخزون العدو أم لم تؤذ رجاله ، فالمهم في الأساس هو إعطاب التنظيم القائم على ركائز من الضبط والدقة والحياة الاعتيادية .

وفي كل هذه الحالات يتراجع العدو خطوتين إلى الوراء بدل ان يتقدم خطوة واحدة إلى الأمام .

ومن السهولة بمكان ان تدع امرأتين أو أكثر تثيران

شغباً مصطنعاً خلال توزيع البيض أو الخبز ، ثم انتهز فرصة انشغال العدو بفضّه لتفجّر المنشآت المهمة . أو ادخل مصنعاً ، بعد ان تتنكر بثياب ضابط كبير ، وهناك ألقِ على العمال أوامر خاطئة قد تُربك العمل لأسابيع طوال ، أو اجعل بعض العمال يصطنعون فيما بينهم عراكاً في حين يقوم آخرون منهم بتخريب الآلات أو سرقة أجزائها .

وهنا لا يمكننا نكران أهمية المرأة ، والدور الذي تلعبه بنجاح في تلك الظروف المصيرية . انها دائماً حاضرة الذهن لخلق أكثر من عذر مقبول : تصطنع الصم والبكم متى أرادت ذلك ، وتمثل الهيام للايقاع برجال العدو ، وتعمل جاسوسة ورسولة وحارسة وممرضة وسارقة ... وكل ما يُطلب منها – الى الحد الذي يجعل الرجل يبدّل رأيه في « حواء » ، فيشكر لها (بعد الذّم) ذلك اللسان الانثوي ، سواء أكان ينقل برقية مستعجلة همساً ، أو يولول صارخاً في وجه جندي عدو . انها متفجرة بشرية وهي تهدر في المظاهرات ، فالويل كل الويل لمن يتصدى لها .

كذلك لا تنسَ الاستعانة بالاولاد الصغار ، فبعضهم تبلغ فيه الشقاوة حد القتل المبين . ولا تخشَ رد العدو وبطشه بالمدنيين العزل ، فهو لن يتورع عن استعمال منتهى القسوة والعنف مهما تجنبوا اثارته عليهم . فالمفروض أن تلعب أوراقك في حينها ، بروّية ، وسيجد العدو

آنذاك ان العنف سياسة عقيمة وان البطش لا يولّد سوى مزيد من المقاومة .

لهذا على فصائل المقاومة أن تأخذ رهائن من رجال العدو إذا استطاعت ، فقد ينجح التهديد بمبادلة الاعدام في تقليص سياسة العدو الثأرية والتأديبية في بعض الأحايين .

واليكم يا من تعملون في ميدان الحرب النفسية : ادخلوا حياة الأهلين اليومية ، وانفخوا فيهم روح المقاومة والبذل حتى تتحول المدينة والبلاد بأكملها إلى شعب من الفدائيين يعمل سراً ريثما تأزف ساعة العمل جهاراً .

ولا تترددوا في القضاء السريع على أي خائن ، فأكثرية المتعاونين مع العدو هم من الجبناء الأصليين الذين لا تنفع معهم سياسة النصح . شدّدوا عليهم الخناق حتى يخشوكم أعظم من خشيتهم له ، واصنعوا بهم ما صنعه ثوار الصين والنرويج ويوغسلافيا بخونتهم ، واحفظوا ان نهاية الجرذ دائماً هي في سلة القمامة .

واذكروا على الدوام أن « حياة رجل المقاومة والفدائي على كف عفريت » ففي هذا التشبيه نسبة كبيرة من الواقع . فالفدائي لا يعلم متى يقاتل أو يستريح ، متى يأكل أو يجوع ، متى يظهر أو يتوارى ، متى ينتصر أو يموت . ان الناس من حوله يرغبون في مساعدته ، وهو في أمس الحاجة إلى تلك المساعدة . لكن الصنعة صنعة عفريت أيضاً ، والحذر من الخيانة ضروري له كتنشق

الهـــواء .

وتتملك عقدة الخوف من الطارئين أكثرية الناس زمن الحرب ، فلا يفتحون أبوابهم إلا للتخلّص أو الأبناء . لذلك جئهم ان أردت الاختباء وأنت مطارَد بالطريقة الأكثر اعتياداً ، وبلهجة أنيسة ، كأن تطرق باب عيادةٍ طبية وتقول : يا دكتور ! إن السيد فلان مريض جداً . فيفتح لك الباب على الفور . أو تجيء دار عروس وتزعم انك تحمل رسالة من عريسها فيفتح لك البـــاب باسرع من لمح البصر .

وكُـنْ متخفياً بينهم ، وعالج صوتك كي لا يعرفوه بوضع قطعة نقود تحت لسانك . كذلك غطِ وجهك بالمنديـل ان لم يكن ملوثاً بالفلين المحروق . وحين تصير في الداخل لن يجرؤ اهل البيت على طردك بالقوة ، ومـــع ذلك فستضطر إلى اصطناع القسوة معهم . ادفعهم جميعاً إلى غرفة المونة حتى تنتفي عندك تهمـــة التواطؤ والتعاون مع « المخربين » .

ولا اود ان اذكّرك في نهاية هذا الفصل ان حياة المقاتلين مرهقة إلى أقصى الحدود ، جسدياً ونفسياً وعصبياً ، فضلاً عن أثر الشعور بالوحدة والحنين والاخطار والمشقات التي تلخص حياة المقاتل النضالية بجملة قصيرة معبرة هي : الوقوف عند حافة الجحيم .

لكن ذلك كله يهون دفعة واحدة في سبيل النضال من

أجل الوطن والمبدأ . ولو تلفتتّ قليلاً إلى الوراء لطالعتك وجوه المغاوير الأبطال : القدامى منهم والجدد ، يختالون في الطليعة ، تيهاً وفخراً ، ويجانبهم النسوة والأطفال ، وقد دفعوا أقساطهم كاملة بعملة الشرف .

ويا أخي الفدائي ورجل المقاومة : ان حرب العصابات لم تبدأ مع هزيمـــة أسرة البلانتجنتس المالكة ، في جبال اسكتلندا ولن تنتهي بالاسبان الذين جرّعوا نابليون المعجزة كأسَ الهزيمة حتى الثمالة — ... ان فلسفة الحرب أبسط من أن تعقـّدها تجارب التاريخ ، فبدايتها الانسان ونهايتهـا الانسان ، والسر كل السر في ذلك الكائن الذي لا يستطيب شيئاً كالحرية .

فهرست

فهرس الرسوم

هذا الكتاب

* انه إرشاد تطبيقي ميسّر لمزاولة حرب المقاومة الشعبيّة والعمل الفدائي على أرضٍ يحتلّها العدو ، ويرفض أهلوها الاستسلام . فيه نظرةٌ تاريخية وتقييم ممتع للعمل الفدائي : أصوله ، وطرائقه ، والأساليب الأجدى في الدعوة إليه وممارسته والظفر بعد أدائه . وهذا ما نحن في الوقت الحاضر في أمسّ الحاجة اليه . فالمؤلف رجلٌ خبر حرب المقاومة الثورية والانتفاض على مختلف أعداء الشعب في اميركا اللاتينية والحرب الأهليـة الاسبانية ، وهو يضع جماع خبراته في متناول اليد لكل من يودّ الانتفاع بتجارب السابقين . كما أن الترجمة سهلة مبسّطة لا يعتريها التباس .
* انه كتاب كل مواطن ، الفدائي للمناقشة والتطبيق ، والمواطن العادي للتأهب كي يكون فدائياً يوماً ما . لهذا نجده يشرح أفضل السبُل لنصب الكمائن ولغم العربات المجنزرة ونسف مستودعات الذخيرة والتخلص من أفراد دوريات العدو . وفيه كيف يعيش الفدائي ورجل المقاومة ، وماذا يلبس في كل فصل ، وكيف يسلك مع الغير .
* انه ثروة جاهزة للأخذ والتطبيق .

٢٠٠ ق. ل. أو ما يعادلها

مطابع دار العلم للملايين
بيروت